

مترحات شکسپر

obeikandi.com

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

تيتوس أندرونيكوس

ترجمة
صفية ربيع

مراجعة

الدكتور محمد عوض محمد الدكتورة سهير الفلباوى

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة الترجمة

كاتب المسرحية :

يقال أحياناً إن شكسبير ليس هو الذى كتب تلك المسرحيات الرائعة التى خلدت اسمه وجعلته أعظم الشعراء فى العالم الغربى إن لم يكن فى العالم أجمع ، وإن كاتبها الحقيقى هو لورد بيكن العالم والسياسى الذائع الصيت ، وليس هنا موضع بحث هذه النظرية الخيالية . وبيان ما فيها من بعد عن الحقيقة ، وإنما أشرنا فى هذه المقدمة إشارة عابرة لنقول إن أصحاب هذه النظرية البيكنية أنفسهم لا يمكن أن يدعوا ، ولا يرغبون فى أن يدعوا ، أن هذه المسرحية التى نقدمها للقارئ الآن قد كتبها لورد بيكن . ذلك أن الأساس الذى تقوم عليه نظريتهم هو فى ظنهم ما تنطوى عليه المسرحيات من علم غزير ، وخبرة واسعة بأحوال الناس ، ونزعة عقلية فلسفية لا تتاح لرجل مثل شكسبير . وإنما تتاح لرجل أوفى من العلم والخبرة والفلسفة ما أوفى لورد بيكن . ذلك ما يقولونه عن المسرحيات الكبرى وبخاصة المأسى العظيمة ، وهو ما لا يمكن أن يقال عن هذه المسرحية . فهى مليئة بالمنظر المرعبة . وبالفجاجة ، والهمجية والقسوة ، وما إليها من عيوب .

وفى المسرحية نفسها ما لا يترك مجالاً للشك فى أنها من وضع شكسبير .

ذلك أن بين أشخاصها وأشخاص مسرحية شكسبير الأخرى شبهاً كبيراً . وإذا راعينا أنها من أولى المسرحيات التي كتبها شكسبير نرين لنا أن أشخاصها ، مع قليل من التطور الذي لا بد أن يخلفه الزمان على أفكار الكاتب وشخصياته ، هم بعينهم أشخاص المآسى الكبرى ، أمثال هاملت ، وليدى ماكبث ، والملك لير ، وكوريوليس ، وغريب مع هذا التشابه الكبير ألا يكون كاتب هذه المسرحيات الكبرى هو كاتب مسرحية تيتوس أندرونيكوس . وأغرب من هذا أنه يوجد كاتبان مسرحيان متقاربان في العبقرية الفنية ، يعيشان في زمان واحد ، وأن يخلق أحدهما شخصيات تكاد تكون هي بعينها التي يخلقها الآخر . ثم يطوى اسم هذا الكاتب الثاني ويترك للحدس والتخمين .

تاريخ المسرحية :

إن أقدم طبعة من هذه المسرحية باقية حتى الآن ، هي الطبعة التي صدرت في عام ١٦٠٠ . والتي يقال في عنوانها إنها مثلت قبل ذلك الوقت : وكانت هي أساس الطبعة الثانية التي صدرت في عام ١٦١١ ، ثم ظهرت طبعة أخرى منها في عام ١٦٢٣ ووضعت بين مسرحي كوريوليس وروميو وجولييت . ويستدل من هذه الحقائق على أن المسرحية كانت معروفة قبل عام ١٦٠٠ وأنها مثلت قبل ذلك التاريخ وبعده ، كما يستدل منها أيضاً على أن الناشرين وقد وضعوها بين مسرحيتين ، لم يكن أحد

يشك في أنهما من وضع شكسبير ، لم يكونوا هم أنفسهم يشكون في أنها من قلم الشاعر الكبير .

وإذا لم يكن لدينا نسخ مطبوعة من هذه المسرحية قبل عام ١٦٠٠ ، فليس معنى هذا أنها لم تطبع قط قبل ذلك الوقت . ذلك أننا نجد إشارات لها في بعض الكتب المطبوعة وقتئذ أو حواليه ، مضافاً إليها أنها كانت مطبوعة في عام ١٥٩٤ . بل نجد ما يدل على أنها مثلت في ٢٣ يناير من عام ١٥٩٣ .

على أن هذه الحجج لا تحدد تاريخ تأليف المسرحية ، وإن حددت تاريخ طبعها أو تمثيلها . غير أنه لما كان الإقبال على المسرحيات الجديدة وتمثيلها عظيماً في تلك الأيام ، فإننا لا نظن أن مؤلفاً مثل شكسبير كان يترك مخطوط مسرحياته معطلاً في مكتبه زمناً طويلاً . إذن فمن حقنا أن نستنتج أن تيتوس أندرونيكوس قد كتبت حوالى عام ١٥٩٠ أو بعده بقليل ، أى حين كان شكسبير في سن الخامسة والعشرين تقريباً . ومن شأن هذه الحقيقة نفسها أن تدل على أن المسرحية وما فيها من فجاجة ونقص في الصقل هي من ثمار الجهود الأولى التي بذلها شكسبير في كتابه «المأسى الدموية» والتي أثمرت فيما بعد تلك المأسى الكبرى التي هي مثلها «مأس دموية» ولكنها تمتاز عنها بالتسامي بأعمال العنف ورفعها عن الحمجية والوحشية .

مصدر القصة :

ليس لدينا قبل أيام شكسبير مصادر يمكن أن يقال إن مسرحية تيتوس أندرونيكوس ، أو المسرحية الأخرى المماثلة لها والمسماة تيتوس وفسپازيا ، قد أخذت منها أو اعتمدت عليها ، غير أن لدينا صوراً ألمانية وأخرى هولندية لهذه المسرحية ، متأخرة في تاريخها عن مسرحية شكسبير ، ولكنها لا تعتمد على مسرحية الشاعر الكبير نفسها ، بل تعتمد على قصة أو قصص أخرى أقدم منها وأكثر فجاجة .

ويؤكد الباحثون المحققون (أمثال مستر فلر Fuller والأستاذ بيكر Baker أن القصتين الهولندية والألمانية تعتمدان على قصتين إنجليزييتين مختلفتين مثلتهما فرق إنجليزية مختلفة ، وأنهما لا يمكن أن تكون إحداهما هي مسرحية شكسبير التي لدينا الآن . ويبدو أن هذه المسرحية مزيج من قصتين متفرقتين - أو أكثر من قصتين - كانتا منتشرتين في أوروبا وانجلترا قبل أيام شكسبير .

فأما أولاهما فهي قصة « المغربي الشرير » حيث نرى القتل والاعتصاب يرتكبهما مغربي مدفوع إليهما بالانتقام والحقد الدفين ، وأما الثانية فهي قصة « السيدة البيضاء والمغربي » وهي قصة تدور أهم حوادثها حول الدسائس الشهوانية القائمة بين سيدة بيضاء ، هي ملكة في الأغلب الأعم ، وعبد زنجي . ويمزج شكسبير بين هذه العناصر وبين ما نستطيع أن نسميه

العناصر السياسية فى المسرحية . ونغنى بها العلاقة بين تيتوس والإمبراطور ، وهذا المزج هو الذى يحبه شكسبير ويخترعه إذا لم يكن موجوداً من قبل فى القصة . ذلك أن شكسبير يعتمد فى معظم مآسيه ومساليه إلى الجمع بين قصتين كثيراً ما يستمددهما من مصدرين مختلفين ، ولعل أهم ما تمتاز به عبقريته ، هو هذه القدرة العجيبة على مزج موضوعين متباعدين ، والجمع بينهما فى موضوع واحد . وهذا الجمع يتيح له فوق ذلك فرصة ذلك التمييز الدقيق بين أشخاصه المتشابهين وهو التمييز الذى استغله إلى أبعد حد . ونجد ذلك واضحاً أتم وضوح فى مسرحية الملك لير ، فى لير وجلوستر . وكرديليا وإدجر ، وإدموند وريجان وجنريل ، حيث تمتاز أوجه الشبه القوية بالفوارق الدقيقة .

ولقد كانت حبكة تيتوس أندرونيكوس قبل أن يتناولها شكسبير معقدة التعقيد الذى يوائم ذوق الشاعر الكبير ، ولكنه لم يكتف بهذا ، بل خلق فيها شخصية أكرىوس ليرر بعض التبرير حقد تامورا على أندرونيكوس وأسرته ، وليظهر لافينيا بمظهر الضحية البريئة .

أشخاص المسرحية

نعيد هنا ما قلناه من قبل ، وهو أنا نجد أمثلة قريبة بعض القرب أو كله لأشخاص هذه المسرحية فى مسرحيات شكسبير الأخرى مع التطور الذى لا بد أن يثمره نضوج الشاعر واكتماله عقليته .

ولنقل الآن كلمة عن أهم هؤلاء الأشخاص :

تامورا ملكة القوط :

لقد جمع شكسبير في أخلاق هذه السيدة بين الشهوانية والوحشية من جهة وبين ما خلعه عليها من عظمة لا يمكن أن يجعلها على الأشرار من النساء غير شكسبير وحده من جهة أخرى ، ويحرص شكسبير في أول ظهورها أمام تيتوس على أن يتيح لها الحجة التي تعتذر بها ، وإن لم تبرر بها أعمالها المقبلة . ولقد كانت الأعمال الوحشية التي عومل بها ابنها الأكبر أكر يوس كافية لأن تثير في طبيعتها القوية الشديدة الانفعال رغبة جامحة في الانتقام الرهيب .

لكنها أوتيت من الذكاء وقوة البديهة قسطاً كبيراً امتازت به عن غيرها من شخصيات المسرحية ولم يفارقها إلا في اللحظة الأخيرة الحاسمة حين أرادت أن تستغله إلى أقصى حد .

وبفضل هذا الذكاء أدركت أن من واجبها أن تراوغ وتخدع ، وأن تستدرج تيتوس وأسرته فيأمنوا ويطمئنوا . وهي امرأة ذات جمال ناضج ، ماهرة في الدس والوقية . تعرف من أول نظرة كيف تفتن ساترنيوس الشهواني الضعيف ، وكيف تستغل خوف تيتوس وغيره منه . وتسيطر تامورا على المسرحية من أولها إلى آخرها ، وليس آرون (هارون) نفسه إلا رسولا وعاملا لها ينفذ خططها الرهيبة ، بسرور يمليه

وليس من طراز الرجال العادى .

ولنتقل الآن إلى الشخصية الأخرى من شخصيات المسرحية ذات الدرجة الأولى فى الأهمية ونعنى بها شخصية آرون (هارون) ، فنقول يبدو أن شكسبير قد حاول محاولة كبيرة - وإن لم ينجح فيها إلا بعض النجاح - كى يخلع على شخصية المسرح الدنيئة المنحلة بعض النزعة الإنسانية .

ونقول إنه لم ينجح إلا بعض النجاح لأن آرون ينحدر فى أواخر المسرحية ، فيصبح الشخص الفظيع الشرير بحق ، وهو فى هذا قريب الشبه بإياجو ، كما يشبه من بعض النواحي ريجان ، وجنريل ، وكلوديوس ، ورتشارد الثالث فى المسرحيات الأخرى ، وكلها شخصيات كثيرة الوجود فى عصر النهضة القريب من أيام شكسبير ، وحسبنا أن نذكر من أشخاصها البارزين آل بورجيا وآل ميديتشى فى رومة وفلورنس .

فقد يبدو أن عصر النهضة الذى كان عصر إحياء للفنون والآداب ، قد قضى أو كاد على الضمير الحى . وأن موجة المسيحية السائدة فى العصور الوسطى والوثنية التى جاءت مع النهضة . قد محت الأخلاق محواً ، كما نرى هذا فى كتاب الأمير كتاب « الشيطان المنزل » الذى يعلم الإنسان كيف ينسى كل ما هو شريف . ونبييل ورحيم ، من المبادئ الأخلاقية .

ولا عيب فى شكسبير فى هذا فهو إنما يمثل لنا فى هذا الشخص

وأمثاله طرازاً من العصر الذى يعيش فيه ، ولا نستطيع أن نقول عن هؤلاء الشياطين إنهم خارقون للطبيعة ، بل إننا نجد حتى فى أيامنا هذه أناساً لا يقلّون فى قسوتهم وظلمهم عن آرون نفسه ، وقد رأى شكسبير أن آثام آرون وآثام (إياجو) أشد من أن يكفرا عنها بالموت ، فاستبقى هذين الوغدين لعذاب أشد هولاً فى آخر المسرحيتين .

لوسيوس :

ترق شخصية لوسيوس وتتطهر على يدى شكسبير كلما تقدمت المسرحية ، وهو أقل اشتراكاً فى فظائعها بعد مقتل ألبوس من غيره من الأشخاص ، وليس قتله ساترنيوس بعد أن طعن هذا أباه إلا عملاً أملاًته الغريزة البشرية ، نجد له ما يبرره . وأهم ما يميزه من الصفات هو حنانه الأخوى الذى يهتم شكسبير على الدوام بتصويره . كذلك لا يعوز لوسيوس حبه لأبنائه أو أبيه ، وإن دفاعه عن هؤلاء أمام محامى الشعب (التريون) لدفاع جميل بحق .

ساترنيوس وبسيانوس :

الأخوان المطالبان بالتاج . ونجح أحدهما وأخفق الآخر . فأما ساترنيوس ، فهو شخص حقير ذميم كافر بالنعمة ، مرتاب ، ضعيف ، قاس ، عبد لشهواته .

أما بسيانوس ، فهو إنسان فاضل ، ومحب ثابت ، وزوج كريم ، ورجل شريف ، طيب القلب ، سريع العفو ، يغفر لتيوس ما أراد أن يوقعه به من ظلم . وهو من أكثر أشخاص المسرحية طهراً ، وأعلامهم قدراً .

المهرج :

بقي بعد ذلك أن نقول إن المسرحية لم يعوزها المهرج كما يظن البعض . والمهرج شخص يدخله شكسبير في مسرحياته ليققل من عبثها الثقيل على النظارة وبخاصة في المآسى ، ويمثله في هذه المسرحية الفلاح حامل سلة الحمام .

وكثيراً ما يستمد شكسبير شخصية أولئك المهرجين من الفلاحين السذج في إنجلترة .

وخليق بنا أن نختم هذه المقدمة بقولنا إن تيتوس أندريونيكوس ، هي أولى المحاولات التي بذلها شكسبير في كتابة المأساة ، فهي عمل رجل يتعلم وفنه ينقل عن سابقه ، وإن كان مدركاً لمواهبه العليا يخشى أن يدخل تبديلاً كبيراً على حبكة القصة ، لم يبلغ من المهارة في ضم حبكة صغرى إليها ما بلغه في مسرحياته التالية ، لكنه أوتي القدرة على تمييز الأشخاص وعلى إضفاء النزعة الإنسانية على الأشرار ، وفيها يظهر اهتمامه بالمشاكل النفسية والخلقية ، وهو الاهتمام الذي يعود إليه في مسرحياته التالية ويوضحه

أعظم توضيح . وهو فيها المسيطر على موهبة الشعر النبيل والبلاغة القوية .
وأكبر الظن أنه مدين بهذه الموهبة المزدوجة إلى مارلو ولكنه استخدمها
أعظم استخدام في كتابة المسرحية .

محمد بدران

oboi.kandi.com

تیتوس اندرونیکوس

obeikandi.com

أشخاص المسرحية

ساترنيوس : ابن إمبراطور روما المتوفى ، ويعلم انتخابه

Saturninus إمبراطوراً فيما بعد

باسيانوس : أخو ساترنيوس ، محب لللافينيا Bassianus

تيتوس أندرونيكوس : نبيل روماني ، وقائد جيوش الرومان في حربهم

Titus Andronicus ضد القوط

ماركوس أندرونيكوس : زعيم من نقباء زعماء الشعب وأخ لتيتوس

Marcus Andronicus

Lucius	:	{ لوكيوس كوينتوس مارتوس موتيوس }
Quintus	:	
Martius	:	
Mutius	:	

Young Lucius : صبي - ابن لوكيوس

Publius : ابن ماركوس أندرونيكوس

Sempronius :

Gaius : أقرباء تيتوس

Valentine :

Emilius : نبيل روماني

Alarbus	:	{	ألاربوس
Demetrius	:	{	ديمترىوس
Chiron	:	{	شIRON
Aaron	:		هارون أو آرون : رجل مغربي وعشيق تامورا
			ضابط ، وزعيم ، ورسول ، ومهراج
			جماعة من القوط والرومان
Tamora	:		تامورا : ملكة القوط
Lavinia	:		لافينيا : ابنة تيتوس أندرونيكوس
			مربية وطفل أسود
			شيوخ وزعماء وضباط وجنود وحاشية

الفصل الأول

المنظر : روما والمنطقة القريبة منها

المنظر الأول

تظهر المقبرة الخاصة بأسرة أندرونيكوس ، وفي أعلى المنظر يقف الزعماء وأعضاء مجلس الشيوخ ثم يدخل ساترنيوس وأتباعه من باب ، ويدخل باسيانوس وأتباعه من الباب الآخر ، ومعهم جميعاً طبول وأعلام .

ساترنيوس : أيها المواطنون النبلاء ، يا حماة حقى ،
ذودوا عن عدالة قضيتى بالسلح .
يا أبناء وطنى ، يا مريدى المحبين ،
دافعوا بسبوفكم عن حقى الشرعى فى الملك .
إننى أنا الابن الأكبر لآخر من
حمل تاج روما الإمبراطورى فوق رأسه .
فاجعلوا أمجاد أبى تعيش فى شخصى .
ولا تعتدوا على حقى بوصفى ابناً أكبر بهذا الامتهان .
باسيانوس : أيها الرومان ، أصدقائى ، وأتباعى ، ومناصرى
فى حقى . إذا كان لباسيانوس ، بن قيصر ،
قدر فى نظر روما الملكية

فأمنوا له الطريق إلى « الكايتول » (١) ،

ولا تقبلوا أن يقترب لئيم .

من العرش الإمبراطورى القائم على الفضيلة

والعدل والعفة والنبل .

١٥

دعوا الجدير بالأمر يظفر فى انتخاب حر

ودافعوا أيها الرومان عن حريتكم فى الاختيار .

(يظهر ماركوس أندرونيكوس فى أعلى المنظر وهو يحمل تاجاً)

ماركوس : أيها الأميران المتصارعان بالشييع والأنصار ،

طامحين فى الحكم والسلطان ،

ألا فاعلما أن أهل روما ، الذين تمثلهم

٢٠

بوقوفنا هنا ، قد أجمعوا

— فى انتخابهم الإمبراطور الرومانى —

على اختيار أندرونيكوس المعروف باسم بيوس ،

من أجل الكثير من الأعمال المحيدة بالخليلة التى

أداها لروما .

فليس هناك رجل أنبل ، ولا محارب أشجع ،

٢٥

يعيش اليوم داخل أسوار المدينة .

(١) الكايتول : معبد أقيم بروما للإله جوبيتر ، ملحق به قلعة تقوم على التل

المسمى باسمه وهو تل من تلال روما السبعة . وكان الأباطرة والقواد الظافرون يتوجون بهذه القلعة .

إن الشيوخ قد استدعوه إلى أرض الوطن
من حروب مفضية ضد القوط البرابرة ،
كان فيها الفزع لأعدائنا ، واستطاع مع أبنائه
أن يخضع لنير روما أمةً قوية شبت على حمل
السلاح ، ويلها .

٣٠

لقد مضى عليه عشر سنوات ، منذ تولى
الدفاع عن روما ، فأذلّ بالسلاح
كبرياء أعدائنا ، وعاد خلالها خمس مرات ،
يقطر دماً ، وهو يحمل أبنائه الصناديد
في التوابيت ، من الميدان :
وأخيراً وقد أثقلته أسلاب الفخار

٣٥

وقدم القرابين لذكرى آل أندرونيكوس
دلالة على أخذه بثأرهم .

وبعد أن قتل أنبل سجين من سجناء القوط ،
يعود اليوم أندرونيكوس المحيد إلى روما ؛

٤٠

مبرزاً في المعارك والحروب ، قد ذاع صيت اسمه
تيتوس ؟

فدعانا نستحلفكما بشرف اسم ذلك الرجل
الذي تريدان اليوم أن يورث عن جدارة ،

وبحق الكايتول ، ومجلس الشيوخ ،
الذين ترعمان تقديسهما وتوقيرهما ،

٤٥

أن تنسجبا ، أيها المتنافسان ، وأن تضعوا السلاح .
فرقا أتباعكما ، وتصرفا بما يليق بأمثالكما من
المتنافسين ؛

وعددا مناقبكما في تواضع وسلام .

ساترنيوس : ما أحسن كلامك أيها الزعيم ، فإنه ليطمئن أفكاري
باسيانوس : وهاأنذا يا ماركوس أندرونيكوس ، أعلن ثقتي
باستقامتك واتزانك ،

٥٠

كما أعلن أنني أحبك وأقدرك ، أنت وآلك :
أخاك النبيل تيتوس ، وأولاده ،

وتلك التي طوع بنائها كل أفكاري ،
لافينيا الجميلة ، درة روما الثمينة ،

ومن أجل هذا سأصرف الآن أتباعي المحبين ،
وأترك للأقدار ولتقدير الشعب

أمر الحكم في قضيتي وقد وضعت في الميزان .
(يخرج أتباع اسيانوس)

٥٥

ساترنيوس : أيها الأصدقاء الذين تحمسوا هكذا لحي ،
إنني أشكركم جميعاً ، وأرجوكم أن تنصرفوا ،

وسأسلم لرحمة بلادى ولحبها نفسى ، وروحي
وقضيتى .

روما ، ارضى غنى وأنصفينى
(يخرج أتباع سائرنيوس)

بقدر ما أنا عطوف عليك مخلص لك ،
افتحوا الأبواب ودعونى أدخل

باسيانوس : وأنا كذلك ، أيها الزعماء ، منافس^(١) متواضع .
(يخرجون ، صاعدين إلى مجلس الشيوخ . ويدخل ضابط)

٦٥ الضابط : أيها الرومان ، أفسحوا الطريق ، أن أندرونيكوس
حامى حمى الفضيلة ، وخير من انتصر لروما ،
القائد المظفر فى المعارك التى خاضها
قد عاد بالجد والثراء بعد أن أذل بسيفه
أعداء روما وجرحهم يرسفون فى القيود

(قرع طبول ، ثم يدخل مارتىوس وموتىوس وخلفهما رجلان يحملان نعشاً مجللاً بالسواد
ومن ورائهما لوكيوس وكورنتيوس وبعدهما تيتوس أندرونيكوس ثم تامورا ملكة القوط ،
وأبناؤهما ألاربوس وشيرون وديمترىوس ، وبعلم هارون وآخرون من القوط الأسرى وبعد
ذلك جماعة من الهند وجمهور من الناس . يضعون النعش على الأرض ثم يتكلم تيتوس)

(١) قد يعنى بذلك إما أنه تنقصه الثروة والنفوذ اللذين لأخيه ، وأما أنه يتهم
متواضعاً لكسب عطف الزعماء .

٧٠ تيتوس : سلام عليك يا روما المنتصرة في ثيابك السود

انظري ، إن مثل السفينة التي أفرغت حمولتها
ثم عادت بحمولة أثمن إلى المرفأ الذي أقلت منه
أول مرة ،

كثل أندرونيكوس ، وقد عاد ملتقاً بأكاليل الغار ،
ليحيي مرة أخرى ، وطنه بالدموع :

دموع الفرح الصادق بعودته إلى روما .

٧٥

وأنت يا « جوبتر » ، يا حامى الكابيتول العظيم ،
تلق ما ننوى القيام به من شعائر ، بالقبول .
وأنتم أيها الرومان ، لقد كان لى من الأبناء خمسة
وعشرون ابناً جسوراً ،

هم نصف ما كان للملك بريام ^(١) من بنين
فانظروا الآن فى البقية الباقية ، من الأحياء والأموات ،
فلتجزر روما أحياءهم بالحب .

٨٠

أما الذين أحملهم اليوم إلى مثواهم الأخير
فلتجزرهم روما بشرف الدفن بين أسلافهم الأجداد .
إن القوط قد أعطوك مهلةً تضع فيها سيفك فى
غمده

(١) الملك بريام ملك « طروادة » .

فما بالك يا تيتوس يا قاسى القلب يا مقصراً فى حقوق
ذويك !

تحتمل أن يظل أبناؤك بلا دفن ، حتى الآن ،
فى حين تحوم أرواحهم على شاطئ «ستكس»^(١)
الخييف ،

هيا افسحوا لهم مكاناً ليرقدوا إلى جوار إخوتهم ،
(تفتح المقبرة)

عندئذ لتحيمهم فى صمت يليق بالموتى ،
سلام عليكم فى رقدتكم ، يا من قتلتم فى سبيل
بلادكم

وأنت أيتها الحفرة المقدسة التى دفنت كل أفراحي
ويا أيها الخدر خدر الفضيلة والنبل
كم قد استودعتك من أبنائى ؛

أبنائى الذين لن تردهم إلى مرة أخرى .

٩٥ لوكيوس : اختر أشد أسرى القوط كبرياء وأسلمه لنا .

حتى نقطع أطرافه ونجعلها كومة عالية

ونحرق لحمه قرباناً لأرواح إخوانهم .

أما هذا السجن الأرضى الذى تموت فيه عظامهم .

(١) ستكس : نهر فى الجحيم ، يعبره الخاطئ سبع مرات .

ففي ذلك سكينه لأرواح الموتى ،

وضمان لنا نحن الأحياء على الأرض ، ألا تنذرنا
الخوارق بالشر .

١٠٠

تيتوس : ها كم إذن ، أنبل من بقى منهم على قيد الحياة
وأكبر أبناء الملكة المقهورة .

تامورا : تمهلوا أيها الإخوة الرومان ، وأنت أيها الغازي الكريم ،
تيتوس المنصور ، فلتأخذك الشفقة بما أسكبه من
دموع ؛

١٠٥

إنها دموع الأم المحزونة على ولدها .
فإذا كنت أحسست يوماً أن أولادك أعزاء عليك ،
فاذكر أن ابني مثلهم ، عزيز علىّ هو أيضاً .
ألا يكفيك فخراً أننا قد جئنا بنا إلى روما ،
لنزين موكب انتصارك ونزيد في بهجة عودتك ،
أسرى لك ، أذلاء نرسف في القيود الرومانية ،
أو لا بد لك أيضاً أن تذبح أبنائى في شوارع
روما

١١٠

جزاء وفاقاً على ما قدموه لوطنهم من مجيد الفعال ؟
فلئن كان القتال من أجل السلطان والدولة

يعد من أبنائك تديناً وعبادة ، فهو من هؤلاء كذلك أيضاً .

أندرونيكوس ، لا تلوث قبر أسرتك الطاهر بالدماء !
ألا تريد أن تتشبه في خلقك بخلق الآلهة ؟
تشبه إذن بهم وكن رحيماً ،
فإن الرحمة الرحيمة لأصدق رمز يدل على النبيل ،
أيها النبيل تيتوس بل العريق في النبيل ! أعف عن
ابني البكر !

: صبراً سيدتي ، وصفحاً ،

١٢٠ تيتوس

إن هؤلاء الواقفين أمامك إخوة من شهدتهم ،
أنتم القوط ،

أحياء ثم أمواتا ، وهم من أجل إخوتهم
الذين استشهدوا في الجهاد المقدس يطالبون بالفداء
كما يأمرهم الدين

وقد اختير ابنك لهذا ، فلا بد له أن يموت ،
كما يسكن بموته صياح هامات الراحلين من موتاهم .

: امضوا به وأوقدوا النار فوراً ،

لوكيوس

فلنمتشق سيوفنا ، ونقطع بها أطرافه

فوق كومة الخشب ونحرقها حتى تتلاشى كلها .

(يخرج لوكيوس وكونتيس ومارتيوس يقتادون الأربوس)

١٢٠ تامورا : يا لقسوة هذه العبادة الكافرة !

شيرون : أو بلغ أهل « سكوذيا »^(١) من الوحشية نصف

ما بلغ هؤلاء ؟

ديمتريوس : لا تقارن أهل سكوذيا بأهل روما الجشعة .

أن « الأربوس » قدماء فاستراح ؛ أما نحن

فسنحيا ،

لنرتجف ، أمام نظرة تيتوس المتوعدة ،

وإذن فنى ، يا سيدتى ، بالرغم من هذا ، ثابتة ،

مؤملة

١٢٥

فإن الآلهة ، التى أتاحت قديماً للملكة طروادة^(٢) ،

فرصة سانحة لنتنقم انتقاماً قاسياً

من طاغية « تراقيا » وهو فى خيمته ،

قد تمكن هى نفسها « تامورا » . ملكة القوط ،

(عندما كان القوط قوطاً وكانت تامورا ملكة)

(١) إقليم فى شرق أوروبا كان يسكنه شعب من البرابرة المتوحشين يتجولون فى

جنوبها الشرق وشمال غرب آسيا . وقد زعم هيرودوت أنهم كانوا يأكلون لحوم البشر .

(٢) ملكة طروادة : هكيوبا زوجة بريام ملك طروادة ، وطاغية تراقية هو

« بوليمنيستر » Polymnestor .

من أن تنتقم من أعدائها لهذه الاعتداءات الدامية .

(يدخل لوكيوس وكويتوس وموتيس وسيفهم تقطر دماً)

لوكيوس

: انظر ، أبانا ، ومولانا ، كيف قمنا بأداء

شعائرننا الرومانية ؛ لقد قطعت أطراف ألابيوس

وبتر بتر ؛

وغدت أحشاؤه وقودا لنار القرايين ؛

تعطر السماء دخانها وكأنه بخور العابدين .

لم يعد أماننا الآن إلا أن ندفن إخوتنا ،

وأن نعلن عودتهم إلى روما بدوى الطبول .

: فليكن ذلك ، وليكن لأندرونيكوس ،

تيتوس

من هذا ، تحية أخيرة لأرواحهم .

(تدق الطبول ويوضع النعش في القبر)

ارقدوا هنا يا أبنائي ، في سلام وفي فخار ،

يا حماة روما الأجداد ! ارقدوا هادئين ،

آمنين عوادي الدهر وأحداثه ،

ارقدوا حيث لا تكمن خيانة ولا يسود حسد ،

ارقدوا حيث لا ينمو عشب سام ملعون ، ولا تعصف

رياح هوج

حيث لا ضج ولا ضوضاء ، بل صمت خالد

وسبات أزل

استريحوا هنا يا أبنائي في سلام وفي فخر !

١٥٥

(تدخل لافينيا)

لافينيا : طال عمر المولى تيتوس في عز وسلام

عشت في مجد مولاي النبيل ووالدي العزيز !
انظر ، هذه دموعي على هذا القبر ،

أقدمها فرضاً على لإخوتي في مراسم دفنهم ،

وها أنا ذى أركع عند قدميك ودموع الفرح

١٦٠

بعودتك إلى روما تنسكب على الأرض .

باركني يا أبت هنا بيمينك الظافرة ،

التي هلل لانتصارها خير أبناء روما .

تيتوس : ما أعظم رحمتك يا روما ، فقد حفظت لي ، عطفاً

١٦٥

منك ، سلوى حياتي ، ليفرح بها قلبي .

عشت يا لافينيا ، عشت حتى يتجاوز عمرك عمر

أبيك ،

وحتى يتجاوز ذكر فضيلتك عمر الخلود الأبدي

(يدخل ماركوس أندرونيكوس ويرجع ساترنيوس وباسيانوس والآخرون)

ماركوس : عاش تيتوس ، مولاي وأخي الحبيب ،

الكريم المظفر ، لدى أهل روما !

١٧٠ تيتوس : شكراً ماركوس ، أيها الزعيم الكريم والأخ النبيل .

ماركوس : مرحباً بعودتكم من الحروب الموفقة يا أبناء الأخ ،

مرحباً بكم أيها الأبناء ، الأحياء منكم والراقدون في

أحضان المجد على السواء . أيها السادة :

إن نصيبكم جميعاً قد تشابه في كل شيء ،

عندما شرعتم سيوفكم في سبيل الوطن ،

١٧٥

ولكن نصر هذا الموكب الجنائزي خير وأبقى ،

لأنه ارتقى بصاحبه إلى سعادة الموت التي نادى بها

صولون^(١) ،

واعتلى به مراق المجد منتصباً على الأقدار .

تيتوس أندرونيكوس ! إن أهل روما ،

الذين ناصرتهم أبداً في الحق ،

١٨٠

يرسلون إليك معي — وأنا زعيمهم الذي يثقون به —

هذا المعطف الأبيض الذي لا تشوب صفاءه

شائبة ،

ويرشحونك في انتخاب الإمبراطورية

(١) سعادة صولون : إشارة إلى مثل ينسب لصولون يقول فيه : لا تحسب الرجل

سعيداً حتى يموت ، ويرى « بيلدون » أن الإشارة قد تكون لمثل آخر هو : من أحبه الآلهة فقد مات صغيراً .

مع أبناء إمبراطورنا السابق الراحل ،
أقبل إذن الترشيح والبس الثوب وشارته ،
وأعنا على اختيار رئيس لروما ليكون لها رأساً بعد
أن أضحت لا رأس لها .

١٨٥

تيتوس : إن رأساً أفضل من رأسى أليق يجسدها المجيد ،
رأساً لا يرتعش من الشيخوخة ولا الضعف
علام أرئدى هذا الرداء وأحملكم مشقة انتخابي
وأنتم إن خصصتموني اليوم بالتتويج
فسأضطر غداً لأن أتنازل عن الحكم ، وأعتزل
الحياة ،

١٩٠

وبذلك تعود المهمة أمامكم جميعاً ، لتقوموا بها من
جديد ؟ !
روما ! لقد كنت المجاهد في سبيلك أربعين عاماً ،
قدت فيها قوات بلادى مظفراً موفقاً ،

ودفنت من الكماة واحداً وعشرين ابناً صنيدياً
كانوا فرساناً ، في الميدان ، ولقوا مصرعهم أبطالا
شاهري السلاح

١٩٥

في سبيل وطنهم النبيل وذوداً عن حقوقه .
هبوني إذن في شيخوختي ، عصا الشرف أتوكأ عليها ،

لا صوبلحاناً أسود به العالم .

وإنه لصوبلحان ، أيها السادة قد رفعه عالياً آخر من
أمسك به

٢٠٠

ماركوس : لو تقدمت ، يا تيتوس ، إلى الكرسي الإمبراطوري
لحصلت عليه .

ساترنيوس : أو تجرؤ ! أيها الزعيم المتكبر المتطاوول ؟

تيتوس : صبراً أيها الأمير ساترنيوس !

ساترنيوس : يا رجال روما ، قفوا إلى جانبي ،

أيها الأشراف ، اشرعوا سيوفكم ولا تغمدوها

حتى يصبح ساترنيوس إمبراطوراً لروما .

٢٠٥

أما أنت يا أندرونيكوس ، فأني كنت أفضل أن

يُلقى بك في الجحيم ،

من أن تسلبني قلب الشعب .

لوكيوس : يا لكبرك يا ساترنيوس ، إنك لتؤخر الحير

الذي يريده لك تيتوس بضميره النبيل .

٢١٠ تيتوس : اطمئن أيها الأمير . سأرد إليك

قلب الشعب ، وسأصرفهم عن أنفسهم .

باسيانوس : لست أتماقك يا أندرونيكوس ،

ولكنني أبجلك تبجيلاً خالصاً ، وسأظل كذلك

حتى أموت ،

ولسوف أكون شاكراً لك ، كل الشكر ، لو أنك
مع أصدقاؤك أيدت شيعتي ؛

٢١٥

إن الشكر لكرام النفوس لجزاء كريم .

: يا رجال روما يا أيها الزعماء النبلاء ،

تيتوس

إني أسألكم أصواتكم وموافقتكم

فهلا منحتموها متكرمين لأندرونيكوس ؟

: إن الشعب ، إرضاءً لأندرونيكوس الشهم ،

٢٢٠ الزعماء

واحترافاً بعودته سالماً إلى روما ،

سوف يقبل من يرتضيه .

: أشكركم أيها الزعماء ، وهأنذا أعرض عليكم

تيتوس

أن تنصبوا مولانا ساترنيوس ،

الابن الأكبر لإمبراطورنا ، وأمل أن تشع فضائله

على روما ،

٢٢٥

كما تشع أشعة إله الشمس^(١) على الأرض ،

وأن يرعى العدالة حتى تزدهر في دولتنا ،

فإذا أردتم أن تأخذوا بنصيحتي في انتخابكم ،

فلتتوجه هو ، ولنهتف : أدام الله إمبراطورنا !

(١) في الأصل (Titan) وتيتان إله الشمس .

٢٣٠ ماركوس : هلم بالتهليل وبالترحيب بشتى صورة
يا أيها النبلاء ، ويا عامة الشعب ، فلتتوج
مولانا ساترنيوس إمبراطور روما العظيم ،
ولنهتمف : أدام الله إمبراطورنا ساترنيوس
(هتاف وتهليل)

ساترنيوس : تيتوس أندرونيكوس إني على ما قدمت إلينا من
أفضال

٢٣٥ في يوم انتخابنا هذا
أقدم إليك شكراً يليق بفعالك .
وسأكافئك على تكرمك بالفعل لا بالقول ،
وها أنذا أبدأ الآن ، يا تيتوس ،
بأن أرفع من اسمك ومن اسم أسرتك النبيلة ،
فأجعل من لافينيا ، مليكتي ،
٢٤٠ لتجلس حاكمة على عرش روما الإمبراطوري ،
وحاكمة على قلبي
وأصبح في البانثيون^(١) المقدس ، زوجاً لها .
قل لى يا أندرونيكوس ، أو يرضيك ما أتقدم به
إليك .

(١) البانثيون : معبد مكرس يقع وسط حقول مارس فى روما .

تيتوس

٢٤٥

نعم ، يا مولاي الجليل ، فإن هذا القران
ليشرفني كثيراً بفضلك به .

وها أنا ذا أمام شعب روما ، أكرس لساترنينوس ،
ملك دولتنا وقائدها ،

وإمبراطور العالم الواسع ،

سيتي ومركبتى وأسراى ،

وأهديها كلها لأجدر الناس بها ، سيد روما

الإمبراطورى ،

٢٥٠

تقبلها إذن ، فإنها ضريبة ، أنا مدين بها لك ،

إنها شارات مجدى ، أضعها متواضعة عند قدميك .

ساترنينوس : شكراً يا تيتوس النبيل ، يا من أوجدتني من جديد ،

فلتسجل روما فخري بك وبهداياك ،

فإذا نسيت أقل هذه الأفضال شأناً ،

٢٥٥

فانسوا أيها الرومان عهدكم بالإخلاص لى .

تيتوس (لتامورا) : إنك الآن يا سيدتى أسيرة لإمبراطور ،

وبقدر ما لك من سمو الشرف ومن علو المقام

سيكرم الإمبراطور معاملتك ومعاملة أتباعك .

٢٦٠ ساترنينوس (على حدة) : إنها ولا شك امرأة مليحة ، من هذا الصنف

الذى كنت أختاره لو أننى خيرت من جديد .
(بصوت عال) بددى السحب يا مليكتى الجميلة
عن قسَمات وجهك ،
فلئن كانت صروف الحرب قد جلبت هذا التغيير
إلى محياك ،

فإنك لم تقدمى لكى يسخر منك أحد فى روما .
ستعاملين معاملة الملوك فى كل شىء .
فاعتمدى على كلمتى ولا تدعى السخط
يفسد عليك الأمل ، إن الذى يعزبك الآن يا سيدتى
قادر أن يجعلك أعظم من ملكة القوط .
لافينيا ، أو يسوؤك هذا الكلام ؟

٢٦٥

٢٧٠ لافينيا : أنا يا مولاي ؟ كلا ! لأن نبلك الخالص

يفرض عليك هذا القول ، وإنه ليجرد تُلطف ملكى .
ساترنيوس : شكراً على لطفك يا لافينيا ، هيا أيها الرومان ،
إننا سنطلق سراح أسرانا بلا فدية ؛

فهيا أعلنوا ، أيها السادة ، ما نلناه من شرف بقرع
الدفوف والطبول .

٢٧٥ باسيانوس : تيتوس ، سيدى ، عن إذنك ! هذه الفتاة لى !
(يسك بلافينيا)

تيتوس : كيف ؟ ! أو جاد أنت يا سيدى ؟
 باسيانوس : نعم أيها النبيل تيتوس ، بل مصمم
 على أن أنتصف لنفسى بهذا الحق وأن أستبقيه
 ماركوس : إن عدالتنا الرومانية تقضى بأن يكون لكل ذى حق
 حقه (١) ،

٢٨٠ ولم يفعل الأمير أكثر من أن طالب فى عدل بحقه .

لوكيوس : لسوف يأخذه ، وسأضمنه أنا له ما دمت حيا .

تيتوس : ابتعدوا أيها الخونة ، أين حرس الإمبراطور .

إنها لخيانة يا سيدى ، لقد اختطفت لافينيا !

ساترنيوس : اختطفت ؟ ! من اختطفها ؟

٢٨٥ باسيانوس : إنه صاحب الحق الشرعى

فى أن يحمل خطيبته بعيداً عن العالم أجمع !

(يخرج ماركيوس وباسيانوس بلافينيا)

موتيسوس : هلم نتعاون أيها الإخوة على الهرب بها بعيداً .

إنى سأحرس هذا الباب بسيفى .

(يخرج لوكيوس وكوينتوس ومارتيوس)

تيتوس : اتبعنى يا مولاي ، وأنا أرجع بها سريعاً

موتيسوس : سيدى ، لن تعبر من هنا !

(١) Suum Cuique لكل ذى حق حقه أو ماله .

٢٩٠ تيتوس : ماذا ؟ أيها الغلام الشرير !

أو تُسد في روما ، طريق ؟ (يطن موتيوس)

موتيوس : النجدة ، يا لوكيوس ، النجدة (يموت)

لوكيوس : إنك لظلوم يا سيدى بل إنك لأكثر من ذلك ،

فلقد قتلت ابنك في خلاف أنت فيه على باطل .

تيتوس : ما أنت يا بنى ولا هو .

فما كان لأبنائى أن يثلموا شرفى هكذا ،

٢٩٥

أعيدوا لافينيا للإمبراطور أيها الخونة .

لوكيوس : نعيدها ميتة إن أردت ، ولن نعيدها حية لتكون

زوجة ،

ما دامت الخطيئة الشرعية لرجل آخر . (يخرج)

ساترنيوس : كفى ، يا تيتوس ، كفى ، فما بالإمبراطور حاجة

إليها

٣٠٠

لا هى ، ولا أنت ، ولا أى ممن لاذَ بك .

فلقد أثق ، إن سمحت لى ، بمن يسخر منى مرة ،

ولكنى لن أثق بك أبداً ولا بأولادك المتعجرفين ،

بعد أن تأمرتم هكذا جميعاً على العبث بشرفى .

أو لم يكن فى كل روما من تجعلونه هزأتكم

غير ساترنيين ؟ ما أشبه هذه الفعال يا أندرونيكوس ،

٣٠٥

بجمعجتك الفارغة ، وادعائك الباطل ،
 إننى قد استجديت الإمبراطورية من بين يديك .
 تيتوس : يا للفظاعة ! ما أقسى هذا الكلام واللوم .
 ساترنيوس : هيا امضى فى سبيلك وأعط فتاتك هذه المتداولة بين
 الخطاب ،

٣١٠

لمن شهر سيفه من أجلها .
 إنه لصهر شههم فهنئاً لك به .
 وإنه لجدير أن يخالط أبناءك العصاة ،
 ليعيثوا فساداً فى أنحاء إمبراطورية روما .
 تيتوس : إن هذه الكلمات كحد السيف على قلبى الجريح .
 ٣١٥ ساترنيوس : وإذن يا تامورا الجميلة ، يا ملكة القوط ،
 يا من طغى نورك على نور أجمل نساء روما ،
 فكنت مثل « فيبي » (١) الجليلة بين حاشيتها من
 الحور ،

٣٢٠

لو أن اختيارى المفاجئ هذا يسرك .
 فها أنا ذا أختارك يا تامورا عروساً لى .
 وسأنصبك إمبراطورة على روما ،

(١) Phoebe : ديانا ، ابنة جوبيتر ، إلهة الصيد كما ورد فى شعر فرجيل
 الكتاب الأول البيت ٤٩٨ .

أفصحى ، ملكة القوط ، أو ترجين باختيارى ؟
 وإلى لأقسم بآلهة الرومان جميعاً ،
 أنه ما دام الكاهن والماء المقدس قريين^(١) ،
 وما دامت شموع الفرع مشتعلة وهاجة ، وكل شئ
 معد مهياً للقيام بشعائر آلهة الزواج^(٢) ،
 فلن ألقى السلاح على شوارع روما ،
 ولن أضعد قصرى ، حتى أصحب من هذا المكان ،
 عروسى معى . وقد أصبحت زوجاً لى .

٣٢٥

تامورا : وها أنا ذا أقسم لروما على مشهد من السماء ،
 أن ملكة القوط ، إذا قلدها ساترين هذا الشرف ،
 فلسوف تصبح له خادمة خاضعة لكل رغباته .
 وراعية محبة رؤوماً لشبابه .

٣٣٠

ساترينوس : اصعدى أيتها الملكة الجميلة إلى البانثيون ، واصحبوا
 أيها السادة ،

إمبراطوركم النبيل وعروسه الفاتنة ،
 التى أرسلتها السماوات للأمين ساترين ،
 فأصلحت بقبولها الحكيم ما جره عليها القدر .

٣٣٥

(١) الخلط التاريخى واضح هنا فهذه شعائر مسيحية .

(٢) Hymenoeus : إله الزواج .

ولسوف نكمل هناك مراسيم القران .

(يخرجون جميعاً ماعدا تيتوس)

تيتوس : ها أنا ذا لم أدع إلى أن أصحاب هذه العروس ،

فمنذ متى يا تيتوس ، تسير وحيداً

هكذا مهيناً متهماً بكل شر ،

٣٤٠

(يدخل ماركوس ، ولوكيوس ، ومارتيوس)

ماركوس : آه يا تيتوس ، انظر ، انظر ماذا فعلت !

لقد قتلت ابناً لك صالحاً في خلاف طالح .

تيتوس : كلا أيها الزعيم الأحق ، كلا ، إنه ليس بولدى ،

ولا أنت ، ولا كل هؤلاء المتآمرين على هذه الفعلة ،

التي دنست شرف أسرنا جميعاً .

٣٤٥

إنك لأخ خسيس ، وإنهم لأبناء أنحساء .

لوكيوس : ولكن ، ائذن لنا أن ندفنه كما يليق به ؟

لوكيوس

امنح « موتيوس » الحق في أن يدفن مع إخوتنا .

تيتوس : ابتعدوا أيها الخونة ، إنه لن يرقد في هذا القبر .

تيتوس

لقد ظل هذا القبر شاهداً قائماً خمسمائة عام .

٣٥٠

وجددت بناءه ، رائعاً مهيباً ،

ولن يرقد فيه ممجداً إلا من كان جندياً أو خادماً

لروما ،

لا من يقتل مهيناً في شجار حقير .
ادفنه حيثما استطعتم ، فليس له مكان هنا .

٣٥٥ ماركوس : مولاي ، هذا منك جحود وكفر .

إن فعال ابن أخى موتيوس لتشفع له .
ولا بد أن يدفن مع إخوته .

كوييتوس ومارتيوس : سيدفن أو نلحق به !

تيتوس : سيدفن ! من الوغد الذى قال هذا ؟ !

٣٦٠ كوييتوس : قالها ، من لو لم يكن أمامك هنا لنفذ كلمته .

تيتوس : ماذا ؟ أو تدفنه رغم أنى ؟

ماركوس : لا ، يا تيتوس ، أيها النبيل ، ولكنى أضرع إليك
أن تغفر لموتيوس وأن تسمح بدفنه هنا .

تيتوس : حتى أنت يا ماركوس ، صوبت نحو رأسى
سهامك ،

٣٦٥ وجرحت شرفى مع أولئك الصبية ؛

إنى لأعلن أن كلا منكم عدو لى ،

فلا تثيرونى أكثر مما فعلتم ؛ وانصرفوا عني

مارتيوس : إنه غائب عن نفسه ، فهيا ننسحب .

كوييتوس : كلا ، لن أنصرف حتى تدفن رفات موتيوس .

(يركع ماركوس وأولاد تيتوس أمامه)

٢٧٠ ماركوس : أخى ، بهذا الاسم تضرع إليك الطبيعة . .
 كويتوس : أبى ، والطبيعة تناديك بهذا الاسم ،
 تيتوس : لا تتكلموا بأكثر من هذا ، إن أردتم السلامة
 جميعاً .

ماركوس : تيتوس ، أيها المجيد ، يا نصف روى ، بل تزيد ..
 لوكيوس : أبى ، يا روحنا ، وحياتنا جميعاً . .
 ٢٧٥ ماركوس : اسمح لماركوس ، أخيك ، أن يدفن
 هنا ، فى حمى الفضيلة ، ابن أخيه النبيل ،
 هذا الذى مات شريفاً ، مدافعاً عن حق لافينيا ؛
 إنك رومانى ، فلا تك بربرياً ،
 إن الإغريق ، عندما نُصِّحوا ، دفنوا آجاكس^(١)
 بما يليق به ،
 مع أنه ذبح نفسه ؛ وكان ابن لايرتيس^(٢) الحكيم

٣٨٠

(١) آجاكس : بطل من أبطال الإغريق فى حرب طروادة . اختلف مع يوليس
 حول أسلحة أخيل فلما فاز هذا عليه بها جن من الحزن وراح يضرب قطعان الإغريق على أنها
 أعداؤه ولما تبين خطؤه انتحر .

(٢) ابن لايرتيس : يوليس : ملك « إيثاكا » وأبو تلياك وزوج بنلوب ،
 من أهم شخصيات حرب طروادة ، اشتهر فيها بحكته ودهائه ، وفضل بعد الحرب طريقه فى
 البحر وظل عشر سنوات يخوض مغامرات كثيرة . إلى أن وصل أخيراً إلى وطنه فقتل المعجبين
 المتجمعين حول زوجه بنلوب وعاد ملكاً من جديد . والحادثة المشار إليها فى البيتين هى موضوع
 مسرحية « آجاكس » لسوفوكليس .

هو الذى تشفع له مشكوراً كى تؤدى إليه طقوس الدفن
كما يجب .
فلا تدع موتىوس الصغير . وقد كان قرة عينيك ،
يحرم النزول إلى مثواه .

تيتوس : قم ، يا ماركوس ، قم !

إن هذا لأشأم يوم شهدته ،
يوم يثلم فيه أبنائى شرفى وفى روما نفسها ،
هيا ادفنه ، وادفنى من بعده
(يوضع موتىوس فى القبر)

لوكيوس : يا موتىوس الرقيق ، فلتدع عظامك هنا مع صديقك
حتى نزين قبرك بأكاليل النصر .

الجميع (راكمين) : لا يذرف الدمع أحد على موتىوس النبيل
وسيخلد فى المجد ، من مات فى سبيل الفضيلة ،

ماركوس : مولاي ، سأتنجب الكلام فى تلكم الأشجان الحزينة ،
قل لى ، كيف أمكن للملكة القوط الماكرة ،

أن يرتفع شأنها فى روما هكذا فجأة .

تيتوس : أنا لا أعرف كيف حدث هذا يا ماركس . ولكنى

أعلم أنه حدث .

ولا أعلم ، إلا عند السماء ، أهى دبرت هذا أم لا ،

ترى أترعى حق هذا الرجل ،
الذى قادها إلى هذه المكانة العليا

الرفيعة ؟ !

نعم لا بد أنها ستسوخو له في الجزاء .

(يدخل ساترنيوس وحرسه من جانب ومعهم ثامورا وديميريوس وشيرون وهارون
ثم يدخل باسيانوس ولافينا وآخرون من الجانب الثاني)

ساترنيوس : أحرزت إذن قصب السبق يا باسيانوس .

فليمتعك الله يا سيد بعروسك الجميلة . ٤٠٠

باسيانوس : ولیمتعك بعروسك يا مولاي ، لن أزيد على ما قلته ،

ولن أتعنى لك أقل مما دعوت به لك . وإني أستأذنك

في الانصراف .

ساترنيوس : أيها الخائن ! ما دام في روما قانون ، وما دامت في

يدنا قوة ،

فستندم أنت وشيعتك على ما اغتصببت .

٤٠٥ باسيانوس : أسمى هذا اغتصاباً يا مولاي ، أن آخذ ما أملك ؟

أن آخذ من كانت خطيبي الشرعية ومن هي الآن

زوجي !

وعلى كل ، فلندع قوانين روما تحكم في كل هذا !

وإلى أن يمين ذلك ، فإني قد أخذت ما هو لي .

ساترنيوس : يا سيدى ، إن قحتك معنا قد جاوزت
الحد ؛

٤١٠

وسوف نكون - إن عشنا - أكثر حدة معك .
باسيانوس : مولاي سأدافع قدر استطاعتي عما فعلت ،

وسأستमित في الدفاع ولو كلفني حياتي .
ولكني أريد لجلالتيكم أن تعرفوا شيئاً واحداً ؛
إني لأقسم ، بكل حقوق روما على ،

٤١٥

أن هذا السيد النبيل ، تيتوس ،
قد أسىء فهم فعاله ، ومن شرفه .
فقد حاول استنقاذ لافينيا ،

وقتل في هذا أصغر أبنائه بيده .

كل هذا من تحمسه لك ، ومن شدة احتدام
الغضب في نفسه

٤٢٠

لما منعه أن يعطيك ما وهبك إياه خالصاً .

أنزله إذن منزلة الرضى يا ساترينين ،

فقد أثبت في فعاله كلها ،

أنه أب ، وصديق لروما ولك .

تيتوس : دعني أيها الأمير باسيانوس ، بل دع فعلى تتكلم
عنى ،

٤٢٥

لقد كنت أنت وهؤلاء أنتم الذين أذريتم بي ؛
إني لأترك لروما . ولعدالة السماء أن تحكم وتقدر ،
كم ذا أحببت ساترنيين وكم ذا بجلته .

تامورا

: مولاي العظيم ، إذا كانت تامورا يوماً ما

قد حظيت منكم بالرضى

فاسمح لي أن أطلب لهم العفو جميعاً دون تحيز لك

أو لهم ؛

٤٣٠

واقبل أيها الحبيب ضراعتي لأن تصفح عما مضى .

: ساترنيوس ما هذا يا سيدى ! أو أهان علنا ،

ثم أحلّ الموقف في ندالة دون انتقام .

: حاشا يا مولاي ، إن آلهة روما لتأبى ،

تامورا

أن أكون سبباً في المساس بشرفك .

٤٣٥

غير أنني أجزؤ فأقسم بشرفي ،

أن السيد ، تيتوس النبيل ، برىء كل البراءة ؛

وأن ثورته التي لم يستطع أن يداريها ، إنما تم عن

صدق أحزانه .

فاقبل إذن ضراعتي . وانظر إليه بعين العطف ؛

ولا تفقد مثل هذا الصديق النبيل لمجرد ظن فارغ .

٤٤٠

ولا تحزن قلبه الحنون بنظراتك الغاضبة .

(على حدة لساترينوس) مولاي ، أظنني ودعني

أفنعك أخيراً ، ودار غضبك وغيتك :

إنك مازلت حديث عهد بعرشك ،

٤٤٥

وأخاف إن استعرض الشعب والزعماء

الأمر في عدل أن يقفوا في صف تيتوس ،

وأن يسقطوك عن عرشك بتهمة الجحود ،

وإن القوم في روما يرون الجحود إثماً شنيعاً .

استجب إذن لضراعتي ، وارك أمرهم إلى ،

فسأجد اليوم المناسب الذي أذبحهم فيه كلهم

٤٥٠

ذبحاً .

وأستأصل شأفتهم وشأفة شيعتهم وأسرهم ؛

هذا الأب القاسي وأبناءؤه الخونة ،

الذين ضرعت إليهم للإبقاء على حياة ابني الغالي ؛

سأعرفهم ما جزاء من يترك ملكة

تركع في الشارع ، لتستجدي العفو عبثاً .

٤٥٥

(بصوت عال) : هلم ، أيها الإمبراطور العزيز ، وتعال يا أندرونيكوس

قرب إليك الشيخ النبيل وأد الفرحة على قلب

كاد يموت متأثراً بعواصف غضبك .

ساترينوس : قم يا تيتوس ، قم ، قد انتصرت مليكتي .

٤٦٠ تيتوس

: أنا أشكر لجلالتكم وجلالتها ،
تلكم الكلمات والنظرات التي بثت الحياة في من
جديد ،

تامورا

: أنا الآن يا تيتوس ، قد ارتبطت بروما ،
ومن حسن طالعي أن أصبحت رومانية ؛
فلا بد لي إذن من أن أنصح الإمبراطور بما فيه
خير ؛

٤٦٥

فلنقض اليوم على الخلافات جميعاً يا أندرونيكوس ؛
ويا مولاي العزيز ، هبني شرف
التوفيق بينك وبين صديقك .

أيها الأمير باسيانوس ، قد ضمنت نيابة عنك ،
للإمبراطور بشرق وبوعدي ،
أنك ستكون ألين طبعاً وألسلس قياداً .

٤٧٠

أما أنتم أيها السادة ، وأنتم يا لافينيا ، فلا تخشوا
شيئاً ،

نفذوا أمري ، واركموا خاضعين ،
لطلب العفو من جلالته .

٤٧٥ لوكيوس

: إننا لنفعل ، ونقسم للسموات ، ولجلالته ،
إن ما فعلناه ، كان أرفق ما نستطيع أن نفعل ؛

ذوداً عن شرفنا وشرف أختنا .

ماركوس : وأنا أيضاً أقسم بشرفي على هذا .

ساترنيوس : إليك عنا ولا تتكلم ، ولا تزعجنا أكثر من هذا .

تامورا : لا ، يا مولاي العزيز ، لا بد لنا جميعاً من أن

نكون أصدقاء ؛

إن الزعيم وأولاد أخيه يركعون طالين العفو :

وأنت لن ترفض طلبي ! التفت إليهم يا حبيبي

٤٨٠

العزيز .

ساترنيوس : إكراماً لك يا ماركوس ؛ وإكراماً لأخيك هذا ،

ونزولاً على رجاء عزيزتنا ، تامورا ،

أثغاضي عما اقترفه أولئك الشبان من جرائم نكراء .

انهضوا .

٤٨٥

وإن كنت يا لافينيا ، قد تركتني وكأني من الدهماء ،

فإني وجدت بدلاً منك رفيقة أخرى ؛ وإني لأقسم

يميناً يقينها كيقين الموت

ألا أترك الكاهن وأنا أعزب .

هلم بنا ، وإذا كان في وسع بلاط الإمبراطور أن

يحتفي بعروسين

٤٩٠

فلتكوني ضيفي ، يا لافينيا ، أنت وصحبك .

ولنجعل اليوم ، يا تامورا ، يوم الحب .

تيتوس : وفي الغد ، إن شئت جلاتكم ،

نخرج معاً لقنص الفهد والغزال ،

ونحي جلاتكم تحية الصباح بالبوق ونباح الكلاب .

٤٩٥ ساترنيوس : فليكن الأمر كذلك ، يا تيتوس ، وليكن الشكر

عظيماً أيضاً .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

روما — أمام القصر

يدخل هارون وحده

هارون

: الآن ترتقى تامورا قمة الأوليمب ،

فى مأمن من سهام القدر ، تنبؤاً مكاناً رفيعاً

بمنجاة من قصف الرعود وومض البروق ،

سامية لا تتناول تهديدها قبضة حاسد ممرور .

كأنها الشمس الذهبية عندما تحيى الصباح ،

حتى إذا ما بسطت على المحيط شعاعها ولألاعها

أسرعت تعبر الأفلاك بمركبها الوهاج ،

مرتفعة فوق أعلى ذرى الجبال . تطل عليها بازدياء .

تلك هى الآن تامورا !

يقف الشرف الدنيوى فى خدمة حكمها ويدين لها ،

وتركع لها الفضيلة خاضعة وترتعد من غضبتها .

هلم يا هارون إذن ، وسلح قلبك ، وهي خواطرك ،
لكي ترقى عالياً مع عشيقتك الإمبراطورية ،
وتصعد إلى حيث تحلق تلك التي ظفرت بها طويلاً ،
بأن جعلتها أسيرتك ، مصفدة بقيود الغرام ،
قد أوثقت إلى نظرة هارون الآسرة ، بسلاسل
أشد مما أوثق به بروميثيوس^(١) ، إلى صخرة القوقاز .
انزع يا هارون ثياب الرق واطرح أفكار العبيد -
فسأتهوج بالآلآى* وأتألق بالذهب ،

١٥

كما أقف على خدمة هذه التي جعلوها إمبراطورة
حديثاً .

٢٠

ولكنى ! هل قلت أقف على خدمتها ؟ لا بل أنتمتع
بالمملكة ،

بهذه الإلهة - بسميراميس^(٢) هذه الخورية ،

(١) بروميثيوس: إله النار (هو نصف إله) ابن الجبار «جابت» سرق النار للبشر من
السما ضاعبه «جوبتر» أى زيوس بأن جعل الإله فولكان يقيده إلى جبل القوقاز وسلط
عليه نيراً سخماً يأكل من كبده، وكلما فئت الكبد جدها له حتى جاء هرقل فخلصه .
(٢) سميراميس - زوج نينوس ومملكة آشور الأسطورية التي اشتهرت بجمالها وطموحها
وميلها إلى الشهوات .

عروس الماء (١) التي ستسحر ساتورنين روما
حتى تشهد مصرعه وتمزيق دولته
عجباً ! ما هذه العاصفة ؟

٢٥

(يدخل ديمتريوس وشيرون وهما يتشاجران)

ديمتريوس : شيرون ، إن شيخوختك ينقصها الفهم ، وفهمك

ينقصه الحزم

والأدب . حتى تفتحم على ما بلغت أنا من المكائنة
فتصير محبوباً ، فيما تعلم .

شيرون : إنك كثير الادعاء دائماً يا ديمتريوس .

وها أنت ذا الآن تحاول أن تغلبني بتيجحك .

٣٠

إن فارق السن بسنة أو ستين ، لا يجعلني
أقل حظوة ولا يجعلك أوفر نصيباً .

إنني مثلك لا فرق بيننا ، إني كفء ، قادر

على أن أخدم حبيبتي وأن أستحق رضاها .

وسأثبت هذا بسيقي وهو يعلو سيفك ،

٣٥

مدافعاً عن حتى في الميل نحو لافينيا ، وفي حبها .

هارون : شجار بالسلاح ! شجار بالسلاح ! هذان العاشقان

(١) الإشارة هنا إلى عرائس البحر التي تسحر البحارة بغنائها وتجذبهم إلى أعماقه

نتعلم مراكبهم على الصخور .

لا يهدآن .

ديمتريوس : ما هذا يا بني . أألن تسرعت أمنا ،
فعلقت إلى جانبك سيفاً تلبسه في الرقص .
تهور ، وتهدد أصدقاءك .

٤٠

إليك غنى . ودع نضالك مستقراً في غمده ،
حتى تتعلم كيف تحسن حمله .
شIRON : ومع ذلك يا سيدى فإنى بما أوتيت من مهارة ضئيلة
سأريك جيداً إلى أى مدى تصل جراتى .
ديمتريوس : أو أصبحت شجاعاً إلى هذا الحد أيها الغلام ؟
(يستلان سيفهما)

٤٥ هارون : ماذا ؟ ما هذا أيها السيدان ؟
أوتجرؤان ، وأنتما بهذا القرب من قصر الإمبراطور ،
أن تتبارزا ،

وأن تثيرا علناً مثل هذا الشجار .
إننى لأعرف جيداً كل أسباب هذه الضغينة ،
ولن أرضى ، وإن أعطيت مليوناً من الذهب ،
أن يعلم السبب من يخصهم الأمر ،
كما أننى لن أرضى ، ولا بأكثر من هذا ، أن أرى
أمكما النبيلة ،
وقد امتهن شرفها على هذا النحو فى بلاط روما .

٥٠

اخجلا إذن ، وأغمدا سيفيكما ،
ديمتريوس : لن أقفل ، حتى أغمد

نصلى في صدره ، بل حتى
أرد إلى حلقه هذه الكلمات اللاذعة
التي نطق بها ليهينني هنا .

٥٥

شIRON : وهأنذا مستعد مصمم كل التصميم ،
أيها الرعديد البذيء ، الذي يرعد بلسانه ،
ولا يجرؤ على إتيان شيء بسيفه .

٦٠ هارون : قلت لكما أقصرا ؟

فبحق الآلهة التي يعبدها القوط المحاربون ،
إن هذا العراك النزق السخيف سيودي بنا جميعاً .
ثم ما هذا أيها السيدان ! ألا تدركان ما في هذا
التعدي من خطر على حقوق أمير ؟

ما هذا ، أو قد بلغت لافينيا ، من الابتذال ،

٦٥

وبلغ باسيانوس من الهوان
أن تثار علناً على حبها مثل هذه المعارك ،
دون مراعاة للحدود أو المبالاة بحق أو خوف من
انتقام ؟

احذرا أيها السيدان الصغيران ، فلو عرفت الإمبراطورة

أسباب ما بينكما من تنافر . لما أطربتها الأصوات
التي تحدثانها .

٧٠

شIRON : لا يهمنى أن تعلم ، أو أن تعلم الدنيا كلها ،
إننى أحب لافينيا ، أكثر من الدنيا بأسرها .
ديمتريوس : أيها الصغير العزيز رُض نفسك على أن يكون
اختيارك أكثر تواضعاً ،

فإن لافينيا هى مطمح أخيك الأكبر .
٧٥ هارون : عجباً . هل جنتها ، ألا تعلمان أن القوم فى روما
يستشيطنون غضباً . ولا يستطيعون الصبر

أو احتمال التنافس فى الحب ؟
وإنى لأؤكد لكما أيها السيدان أنكما بهذا التصرف
إنما تدبران لأنفسكما الموت تدبيراً .

شIRON : هارون إن ألف مئة
ترضىنى . وأتقبلها ، إذا كنت أفوز بمن أحب !

٨٠

هارون : تفوز بها ؟ كيف ؟

ديمتريوس : لماذا تجعل الأمر يبدو لك إلى
هذا الحد غريباً ؟

إنها امرأة ، إذن فيمكن أن تسام ،
وهى امرأة ، إذن فمن الممكن أن يظفر بها ،
ثم هى لافينيا ، فلا بد إذن أن تُحب .

ماذا يا رجل ! إن الساقية لتمر بها من الماء ،
 ما لا يعلم به الواقف عليها ، ومن السهل
 كما تعلم ، إذا ما انكسر الرغيف أن تسرق لقمة منه .
 حقاً إن باسيانوس أخو الإمبراطور ،
 ولكن كم حمل شعار فولكان (١) المخدوع من هم
 خير منه .

هارون (على حدة) : حقاً ، بل قد يحمله أمثال ساترنينوس
 نفسه .

ديمتريوس : لماذا يئأس إذن ، من يتقن فن اسمائها
 بالكلمات ، ورفيق النظرات ، وسخى الهدايا .
 ويحك ، أو لم يحدث لك مراراً أن أصبت ظلياً (٢) ،
 ثم حملته خفيفاً ، دون أن يلمحك حارسه ؟
 هارون : إذن ، فأنت ، فيما يبدو ، ترى أن استلابها أو شيئاً
 من هذا القبيل ،

كفيل أن ينيلك منها بغيتك ؟

(١) فولكان ، إله النار والمعادن لدى الرومان . وهو ابن «الجوبيتر» من جينون .
 تزوج من فينوس إلهة الجمال على الرغم من وجهه الدميم وجسمه المشوه . وشعار فولكان إشارة
 إلى كل زوج مخدوع .
 (٢) يشير البيت إلى سرقة الأطفال للفرلان ، وكانت عادة شائعة عند الأطفال في
 المنطقة التي نشأ بها شكسير .

شـيرون : نعم ، فهكذا أبلغ المرام .
 ديمتريوس : أصبت يا هارون ، وأدركت الأمر
 هارون : وددت لو أنكما أدركماه أيضاً !

لنستريح من هذا العناء . .

أنصتا إلى ، أنصتا ! هل بلغت بكما الحماقة

أن تتشاجرا على هذا ؟ أيسوؤكما

أن تفوزا أنهما الاثنان ؟

١٠٠

شـيرون : أنا والله ، لا يسوؤني

ديمتريوس : ولا أنا ما دمت من الفائزين .

هارون : اخجلا إذن ، وتصادقا واتفقا على ما قد فرق بينكما .

إن الدهاء والحيلة ، هما اللذان

يحققان ما تريدان ، ولا بد أن تقتنعا

بأن المرء إذا لم يستطع أن ينال بغيته كما يشتهي

١٠٥

فعليه أن ينال بالقوة ما يستطيع .

نعم ، خذا هذا عنى مؤكدا : أن « لوكرشيا »^(١)

نفسها لم تفق في العفة ،

لا فينيا التي يحبها باسيانوس .

(١) لوكرشيا - قتلت نفسها بعد أن اعتلى عليها تاركوين . يضرب بها المثل في

العفة وإيثار الموت على العار .

ولكن ثمة طريق آخر أسرع من طريق هذا التودد

البطيء الأمد .

١١٠

وعليتنا أن نتبعه ، لقد وجدت هذا الطريق :

فقريباً ، أيها السادة ، سيكون هناك موكب رسمي

رائع للقنص ،

وهناك ، ستتجمع نساء روما الجميلات ،

والغابة طرقاتها واسعة فسيحة ،

وبها مواضع كثيرة غير مطروقة ،

١١٥

كأنما أعدت إعداداً طبيعياً للاغتصاب وللإثم .

انفردا إذن هناك . بتلك الظبية الوديعه ،

وخذاها بالقوة ، إن لم تجد معها الكلمات ،

ولا تأملاني نجاح بغير هذه الطريقة ، وإلا فاعدلا

عدولا تاماً .

هيا ، هيا . فعلى إمبراطورتنا ذات الذكاء القدسي

١٢٠

التي سخرت مواهبها للشر والانتقام .

سنعرض أمر كل ما انتوينا القيام به .

إنها ستُحكم بمشورتها مؤامراتنا

فإنها لن ترضى لكما أن يضرب كل منكما صاحبه ،

١٢٥

وإنها سبلغكما معاً أقصى ما تشتهيان .

وما أشبه بلاط الإمبراطور بمركز للإشاعات ،
 فالقصر ملىء بالألسنة والأعين والآذان ،
 أما الغابة فإنها قاسية . مخيفة ، صماء ، بلهاء ،
 فتكلما هناك أيها الشجعان إذن ، واضربا ، وتعاقبا
 عليها ،
 نعم ، هناك أرضيا رغبتكما متواريين عن عين السماء ،
 وتمتعا بما لدى لافينيا من كنوز الجمال .

١٣٠

شIRON : إنها لخطئة تتطلب الجرأة النادرة .
 ديمتريوس : أما أنا فسواء أكان هذا شرًّا أم خيراً فلأني مقيم .
 حتى أجد النبع الذى يبرد لواعجى ، والرقية التى
 تشفى نوباتى ،
 كما أقامت فيدرا ^(١) لاتريم على ضفاف
 « ستيكس » بين أشباح الموتى .
 (يخرجون)

١٣١

(١) Per Styga, per mnes Vchor — المعنى المقصود هو « أن شيئاً لن يصرفه »

والجثلمان من مسرحية سنكا Phydra « فيدرا » .

الفصل الثانى

المنظر الثانى

غابة - أبواق ونباح كلاب الصيد . يدخل تيتوس أندرونيكوس
وصيادون . . ثم ماركوس ولوكيوس وكويتوس ومارتيوس

- تيتوس : بدأ الصيد والنهار سافر أشهب ،
والحقول عبقة والحراج خضراء .
فلنطلق الكلاب لترفع صوتها بالنباح ،
حتى يستيقظ الإمبراطور عروسه الجميلة ،
وينهض الأمير . اقرعوا أجراس الصيد ،
حتى يمتلئ البلاط بأصداء دويها
ولتكن مهمتكم يا أولادى . كمهمنى ،
أن تحرسوا الإمبراطور بكل عناية .
فقد أزعجت فى منامى الليلة ،
وإن كان النهار الوليد قد ألهمنى السكينة من جديد .
(تنبح الكلاب وينفخ فى الأبواق . ويدخل ساترنيوس
وباسيانوس ولانينا ، وديمتريوس وشيرون والحاشية) .
ألف صباح الخير يا مولاي ،
ولك مثلها يا سيدتى ، إشراقاً وعدداً .

لقد وعدت جلالتكما أن أطلق لكما دعاء الصائدين .

ساترنيوس : ولكنكم قد قرعتم ، أيها السادة ، الطبول قرعاً عنيفاً ،
مبكرين بها بعض الشيء على السيدات حديثات
عهد بالزواج .

١٥

باسيانوس : ماذا تقولين في هذا يا لافينيا ؟

لافينيا : إنه غير صحيح
فأنا مستيقظة كل اليقظة منذ ساعتين أو أكثر .

ساترنيوس : هلم بنا إذن ، أعدوا لنا الجياد والعربات ،
وهيا لصيدنا . (لتامورا) ستشهدين الآن يا سيدتي ،
قنصنا الروماني .

٢٠ ماركوس : لدي يا مولاي من الكلاب

ما يثير أكثر الثمرات في منطقة الصيد ، زهواً بقوتها ،
وفي وسعها صغود قمم الآكام العالية .

تيتوس : ولدي من الجياد ما يلحق بالصيد

أيها ذهب ، وما يعدو على السهول بسرعة الطير .

٢٥ ديمتر يوس : أما نحن ، يا شايرون ، فلن نصطاد لا بالكلب

ولا بالجواد

ولكننا نأمل أن نلقى بظي لذيذ أرضاً .

(يخرجون)

الفصل الثاني

المنظر الثالث

موضع منعزل في الغابة — يدخل هارون وفي يده حقيبة بها ذهب

هارون : قد يظن الفطن أنى عديم الفطنة
 إذ أدفن كل هذا الذهب ، تحت شجرة ،
 ولست أنوى العودة لأسترده .
 فليعلم إذن ، من يزدريني ،
 أن هذا الذهب إنما تحاك به خيوط مؤامرة .
 سيتولد عنها — لو نفذت بدهاء وحذر —
 نوع رائع من الشر والإجرام .
 ارقد هادئاً إذن أيها الذهب الحبيب لتقلق بال هؤلاء .
 (يخفي الذهب)
 الذين يلتمسون العطاء من ذخيرة الإمبراطورة^(١)
 (تدخل تامورا)

تامورا : حبيبي هارون ، لم يبدو الحزن في نظرتك وكل
 شيء يزدهي بهيجاً ١٠

(١) معنى البيت غامض ، ويظن أن المقصود بالعطاء العقاب والانتقام وأن صندوق الإمبراطورة أو ذخيرتها يعنى دهاها الفذ الذي لا يفكر إلا في الشر لهم .

إن الأطيّار لتنشد الأنغام على كل غصن ،
وإن الثعبان ليرقد ملتفّاً حول نفسه في الشمس المنعشة ،
والنسيم الرطب يهز أوراق الشجر الخضراء
فترسم ظلالها خطوطاً متقاطعة على الأرض .

٢٠ هلم بنا يا هارون ، نجلس إلى فيها الظليل ،
نسمع الصدى المجمع يسخر من نباح الكلاب ،
ويردد الصوت محيياً الأبواق وهي توقع الأنغام ،
فكأنما هناك موكبان للصيد يسمعان في آن واحد .
هلم نقتش الأرض لننصت إلى صوت صياحهم ،
وكأنما قد انتهينا من جهد ، كهذا الذي بذله فيما يروى
الأمير الجواب ثم تمتع به هو وديدو^(١)

عندما فاجأتهما عاصفة مسعدة
فاسترا بكهف يخفي السر ويكتمه
هيا فليلتف كل منا في أحضان الآخر مثلهما ،
حتى إذا فرغنا من متعتنا استسلمنا إلى نوم هنيء .
٣٠ في حين تكون الكلاب ، والأبواق ، والأطيّار الشادية ،

(١) ديدو : أميرة يروى عنها في الأساطير الرومانية أنها أسست قرطاجنة وأصبحت ملكة عليها ، وقد غلد فرجيل قصة حبها مع إينياس البطل الطروادى الذى ظل يحجب البحار بعد سقوط طروادة حتى وصل إلى قرطاجنة فأحبته « ديدو » ثم قتلت نفسها بعد أن تركها وسافر .

قد تألفت من حولنا وكأنها أغنية أم روم
تترنم بها لطفلها لينام .

هارون : سيدتى ، إن كانت فينوس^(١) بحبها تتحكم فى
رغباتكم

فإن ساترن^(٢) بنحسه يسيطر على رغبتى .

٣٥

وإلا فقيم النظرة الثابتة المحملقة فى عبنى ؟

ولم هذا الصمت وهذا الحزن المكفهر ؟

لماذا تسترسل الآن غدائر شعرى المجدد

وكأنه حية رقطاع تتمدد لكى تأتى عملاً مميّتاً ؟

إن هذه ليست أمارات الشهوة يا سيدتى ،

٤٠

إنما هى أمارات الانتقام فى قلبى ، والموت فى يدى ،

والدم والثأر يدقان كالمطارق فى رأسى .

أنصتى ، يا تامورا ، يا مليكة روحى ،

وروحى لا تطمع فى نعيم أكثر مما تجده فىك ،

إن اليوم هو يوم حساب باسيانوس ،

٤٥

(١) فينوس : الزهرة إلهة الحب .

(٢) ساترن : زحل : يعتقد الناس أن لساترن أثراً سيئاً فى مواليد برجيه وأنه يدفع بهم

إلى الكوارث بل الجرائم .

ولا مفر من أن تفقد زوجه لسانها كفيلوميل^(١) .
 إن ابنك سيغتصبان عفافها ،
 ثم يغسلان أيديهما في دماء باسيانوس .
 أترين هذا الخطاب ، إنى أرجوك أن تحمليه
 وتعطيه للإمبراطور ، ففي الورقة الملفوفة مؤامرة
 فتاكة .

٥٠

لا تسألين شيئاً آخر الآن فإننا مراقبان ،
 وأرى مقبلاً علينا جزء من غنيمتنا المرجوة ،
 لم يفزعهم بعد ، ما ينتظر حياتهم من دمار وفناء .
 تامورا : آه أيها الأسمر العزيز ، يا من هو أعز عندي من
 الحياة .
 هارون : كفى الآن ، أيتها الإمبراطورة العظيمة ، لقد جاء
 باسيانوس ،
 فاصطنعى الغضب منه حتى آتى بأبنائك ،

٥٥

(١) فيلوميل : ابنة باندليون ملك أثينا وأخت بروجنى اعتدى عليها صهرها وزوج
 أختها تيريوس ملك تراقيا ثم قطع لسانها حتى لا تفضح جريمته . ولكنها استطاعت أن تنسج
 صورة على قطعة من القماش رسمت عليها الجريمة . وعند ذلك اتفقت الأختان على الانتقام
 وقتلتا ابن المجرم وقدمته لأبيه في طعامه . وعندما علم تيريوس بذلك أراد الانتقام من جديد
 فسخت فيلوميل نفسها بلبلا وبروجنى قبرة لتهربا منه .

فيناصروك في شجارك معه أيّاماً كان سببه .

(يخرج باسيانوس ولافينا وقد سما آخر الحديث)

باسيانوس : من ذا نرى هنا ؟ أهى إمبراطورة روما الملكية ،

عاطلة عن حاشيتها اللائقة بمقامها ،

أم أنها ديانا ، قد تزيت بزيتها

وهجرت أحراجها القدسية ،

لتشاهد القنص العظيم في هذه الغابة ؟

تامورا : أيها الوقح المجترئ المتلصص على خطواتنا ،

لو أن لى القدرة ، التى يقولون إنها كانت لديانا

لغرس الآن على جبينك

قرنين كقرنى أكتيون (١) ، ولأطلقت الكلاب

خلف أطرافك بعد أن أكون قد فرغت من مسخها

أيها الوقح المتطفل !

لافينا : على رسلك ، أيّتها الإمبراطورة اللطيفة !

فالشائع عنك أن لك موهبة عظيمة فى تركيب القرون ،

وأغلب الظن أنك وهذا الأسمر ،

انفردتما هنا لتقوما بتجارب فى هذا الشأن .

(١) أكتيون : صائد يونانى تلصص على أرتميس إلهة الصيد وهى تستحم فمسخته

وعلا وعدت وراءه الكلاب حتى مزقته .

فليحم الله زوجك من كلابه اليوم ،
 فأني لأخشى ، واحسرتاه أن تحسبه الكلاب وعلا .
 باسيانوس : صدقني أيها الملكة ، إن هذا القرمي (١) الأسمر
 الذي لا يعرف نور النهار ،

٧٠

٧٥

قد صبغ شرفك بلون جسمه ؛
 فأصبح ملطخاً ، تقرأ ، بغيضاً .
 لماذا انفصلت عن حاشيتك كلها
 ولماذا نزلت عن جوادك الأصيل ، الأبيض كالثلج ،
 وجلت بعيداً حتى وصلت إلى هذه البقعة المنعزلة
 لا يصحبك غير أسمر من الهمج ،
 إن لم يكن رائدك الذي قاد خطاك إلى هنا هو الشهوة
 الأثيمة ؟

٨٠

لافينيا : فلما فوجئت في عبثك وفسادك
 كان هذ سبباً كافياً لاتهام مولاي النبيل
 بالقحة . أرجوك ، هيا بنا من هنا ،
 ودعها تنعم بحبيبتها الأسود سواد الغربان ،
 فما أصلح هذا الوادي ، لهذا الغرض .

٨٥

(١) Cimrierien يقال إنهم قوم يعيشون بعيدين عن ضوء الشمس .

باسيانوس : سيعلم بكل هذا أخى الملك .
 لافينيا : نعم ، فمنذ زمن ، والناس تعلم عنك هذه المخازى .
 ألا ما أطيبه من ملك . وما كان لمثله أن يهان هذه
 الإهانة الفظيعة !

تامورا : لم أصبر على احتمال هذا كله ؟

(يدخل ديمتريوس وشيرون)

٩٠ ديمتريوس : ماذا هناك أيتها الملكة العزيزة ؟ ماذا أيتها الأم
 الكريمة ،

لم يبدو على جلالتك الشحوب والذبول .

تامورا : أما يليق بي أن أكون شاحبة

وقد استدرجنى هذان الاثنان إلى هذا المكان ،

إلى واد أجرد بغيض كما ترى ،

٩٥

قد زوت أشجاره ، وتعرت غصونها ونحن ما زلنا

في الصيف ،

وطغى على أرضه الدابوق (١) والبطحلب .

إن الشمس لا تشرق هنا أبداً ولا يخصب هنا

(١) الدابوق Viscum Album نبات طفيل ينبت في أوروبا وينمو في بريطانيا

بكثرة على أشجار التفاح . تميل ثمرته إلى البياض ، ويصنع منها عجينة تغطي بها الأغصان

فتصيد الطيور التي تلتصق عليها .

- إلا بوم الليل وغراب البين المشؤوم .
 وعندما كشفنا لى عن هذه الحفرة البغيضة ، ١٠٠
 قال لى : هنا ، بعد أن يهدأ الليل ويشتد الظلام
 سيخرج ألف شيطان ، وألف ثعبان ،
 وعشرة آلاف ضفدع سام ومثلها من العفاريت عدداً ،
 لتصدر عنهم جميعاً ، صيحات مخيفة مختلطة ،
 لا يكاد يسمعها كائن حى ، ١٠٥
 حتى يحن جنوناً أو يموت فجأة .
 وما كادا يفرغان من هذه الحكاية الجهنمية ،
 حتى قال لى ، إنهما سيقومان بشد وثاقى هنا ،
 إلى جذع شجرة مشؤومة من السرو ،
 ثم يتركاني لهذه الميته الشنعاء . ١١٠
 وراحا يطلقان على سبابهما : أيتها الزانية الأثيمة ،
 أيتها القوطية الشهوانية ، وكل لفظ قارص ،
 فى هذا المعنى يمكن أن تسمعه أذن .
 ولولا أنكما قدمتما ، بمصادفة عجيبة ،
 لكانا قد نفذنا انتقامهما فى . ١١٥
 انتقما إذن ، بحق ما ترغبان لأمكما من حياة ،
 وإلا فلسما ابنى بعد اليوم .

ديمترىوس : إليك الدليل على أننى ابنك

(يطعن باسيانوس)

شIRON : وتلك منى ، ضربة فى الصميم لتثبت قوتى

(يطعن باسيانوس أيضاً فيموت)

١٢٠ لافينيا : هلم أنت يا سمراميس الفاجرة . لابل يا تامورا المتوحشة

فما يليق بطبيعتك اسم غير اسمك .

تامورا : أعطيانى هذا الخنجر ، فستريان يا ابنى

أن لأمكما يداً تستطيع أن تغسل عنها الإهانة .

ديمترىوس : مهلاً يا سيدتى ، فأمامها من الجزاء شر من هذا ،

سندرس القمح أولاً ثم نحرق القش .

١٢٥

إن هذه الصبية تفاخر بعفافها ، وتعتر

بالولاء ليمين الزوج وبإخلاصها له .

لأنها تتحدى جلالتك ، بهذا الأمل الخلاب ،

أن تدفن فى قبرها وهى وفية مخلصه ؛ فهل نمكنها

من ذلك ؟

١٣٠ شIRON : لو أنها فعلت ذلك لتمنيت أن أكون خصياً .

اسحب جثة زوجها إلى حفرة خفية هنا

لتتخذ من جسده الميت وساداً للملاذنا .

تامورا : ولكن ، إذا ما حصلنا على ما تشتهان من عسل

فلا تتركنا النحلة تعيش لتلدغنا جميعاً .

١٣٥ شIRON : اطمئني يا سيدتي ، سنستوثق من كل هذا .

تعالى ، يا حلوة . فسنستمع رغم أنفك
بهذا الشرف الذي أحسنت صونه .

لافينيا : آه يا تامورا ، ألك حقاً وجه امرأة ؟ !

تامورا : إني لا أحتمل سماعها تتكلم ، خذوها بعيداً .

١٤٠ لافينيا : أيها السادة الكرام ، استحلفوها أن تسمع مني كلمة

واحدة .

ديمتريوس : أنصتي لها يا سيدتي ، وليكن من دواعي فخارك

أنك تشهدين دموعها ، ولكن ليكن قلبك من
دموعها

كقطعة من الصوان لا تلين لقطرات المطر .

لافينيا : منذ متى علمت الجراء الصغار أنهم النمر ؟

لا تلقنوها ما الحق ، فقد علمتكم إياه .

١٤٥

إن اللبن الذي رضعتموه منها قد استحال إلى جلمود

صخر ،

فتعلمن القسوة والطغيان وأنتم على نذيتها .

ولكن ، قد يختلف الأبناء وأهمهم واحدة

(منصرفة إلى شIRON)

توسل إليها أن تثبت أن لها شفقة امرأة .

١٥٠ شيرون

: ماذا ؟ أتريديني أن أثبت لك أنى ابن الإثم ؛

لافينيا

: حقاً ، إن الغراب لا يلد قبرة .

ولكن ، كم سمعت - وآه لو يتحقق هذا الآن ! -

إن الأسد قبيل يوماً ، وقد حركته الشفقة ،

أن تقلم أظفاره النبيلة كلها .

١٥٥

ويقال إن الغربان قد تعطف على الطفل اليتيم

حتى لتترك فراخها في الوكر تموت جوعاً .

كونى لى مثلها ، وإن أبى قلبك القاسى ،

إنى لا أطمع منك فى كرم ككرمها ولكنى أطمع

فى جزء من شفقتها .

تامورا

: أنا لا أفهم ما تعنين ، خذوها بعيداً .

١٦٠ لافينيا

: دعبنى أفهمك ، أستحلفك بأبى

الذى أنقذ حياتك وكان فى إمكانه أن يقتلك ،

ألا تكونى قاسية القلب ، وافتحى لى آذانك الصماء .

تامورا

: إذا كنت أنت لم تسيئى لى

فإننى - من أجله هو - أقسو عليك قسوة لا ترحم .

١٦٥

تذكرا يا ولدى ، كم ذرفت الدمع عبثاً ،

لأنقذ أخاك من أن يضحى به .

غير أن أندرونيكوس المتوحش ، لم يلن لى .
خذاها إذن بعيداً ، وافعلها ما شئت
وبمقدار ما تسيئان إليها سيزداد حبي لكما .

١٧٠ لافينيا : يا تامورا كوني رفيقة ، واقتليني هنا ، أنت بيديك ،
فما كنت لا أطيل الرجاء لو أنني سألت الحياة ،
ولكنني أنا المسكينة ، قد انتهت حياتي منذ مات
باسيانوس .

تامورا : ماذا تسأليني إذن أيتها المجنونة ، ابعدي عني !
لافينيا : لا أسألك إلا الموت السريع ، وشيئاً آخر فحسب ،
١٧٥ شيئاً تستنكر أنوثتي أن يفصح به لساني ،
احميني من شهوتهم فهي شر من القتل ؛
ألقي بي في أية حفرة بغیضة ،
حتى لا تقع على جثتي عين إنسان .
إنك إن فعلت بي هذا ، كنت قاتلة رحيمة .

١٨٠ تامورا : أو أسلب أولادي الأعراء ، أجرحهما ؟ !
كلا ، سأتركهما ليشبع شهوتهما منك .

ديمتريوس : هيا فقد أخرتنا هنا طويلا .

أما من رحمة ، أما من حرمة للعرض ، أيها الحيوان
المفترس ،

يا عدوة المرأة وجنسها كله يا وصمة الشرف

ألا فليحل الخراب . . .

١٨٥

شبيرون : سأمنع إذن لسانك من الكلام ، هات زوجها ،

فهذه هي الحفرة التي أمرنا هارون أن نخفيه فيها

(يلتق ديمتريوس بجثة باسيانوس في الحفرة ويخرج هو وشبيرون

وهما يجذبان لافيثيا)

تامورا : مع السلامة يا بني ، تأكدنا من الإجهاز عليه .

فلن يعرف قلبي الفرحة حقاً ،

حتى يُقضى على آل أندرونيكوس جميعاً .

١٩٠

فلأذهب الآن لأبحث عن أسمرى المحبوب .

تاركة لولدي الملتهمين أن يمتننا عرض هذه العاهرة .

(تخرج . ويدخل هارون ومعه كويتوس ومارينوس)

هارون : تقدما يا سيدى ، وليكن سبق فى الخطو لخير

قدمى كل منكما

سأصل بكما حالا إلى الحفرة البشعة ،

التي اكتشفت فيها فهداً غارقاً فى نومه .

١٩٥

كويينتوس : مهما يكن ما نتوقع فإن بصرى قد كل (١)
 مارتوريوس : وبصرى أيضاً ، وأقول لك الحق ، لولا الملامة ،
 لتركت صيدنا ونمت برهة .
 (يقع في الحفرة)

كويينتوس : ماذا ؟ أوقعت ؟ أى حفرة غرارة هذه !
 ٢٠٠ إن فتحها مغطاة بالعوسج الوحشى الملتف ؛
 وعلى أوراقه قطرات من دم حديث السفك .
 إنها لا تزال ندية كندى الصبح المقطر على الزهر .
 إنها لتبدو لى موضعاً مشؤوماً .
 تكلم يا أخى ، هل أصبت فى سقطتك ؟
 ٢٠٥ مارتوريوس : آه يا أخى . أصبت بأشعث ما تحزن به العين القلب ،
 هارون (على حدة) : سأحضر الملك فيجدهما هنا .
 فيتبادر إلى ذهنه مما يرى
 أنهما هما اللذان قتلأ أخاه .

(يخرج)

مارتيوس : لم لا تخلصنى وتساعدنى على الخروج ؛
 ٢١٠ من هذه الحفرة النجسة الملطخة بالدماء .

(١) هذا البيت وما بعده من هذا الجزء من المنظر ، ضعيف كما يرى بيلدين ،
 فتصرفات كويينتوس ومارتيوس لا تليق بابنين من أبناء تيتوس ، ولا يمكن تفسير هذه التصرفات
 إلا باقتراض أنها تحت تأثير عقار أو سجن . وكان يجب أن يوضح ذلك .

كوينتوس : لقد اجتاح قلبي خوف مجهول ،
وتدفق على مفاصلى المرتعشة عرق بارد ؛
إن قلبي ليتوقع أكثر مما يمكن أن ترى العين .

مارتيوس : صدق حدس قلبك ، وإليك الدليل !
انظر أنت وهارون ، انظرا في هذه الحفرة ،
٢١٥ إنه لمنظر بشع من الموت والدماء ،

كوينتوس : لقد ذهب هارون وقلبي المتوجس
لا يريد لعيني أن ترى
ما أرجف خوفاً من مجرد توقعه .
آه ، قل لي من هو ، فما كنت قبل الآن
٢٢٠ طفلاً يخشى ما يجهله .

مارتيوس : إنه السيد باسيانوس يرقد قتيلاً هنا غارقاً في دمه
وكله كومة واحدة وكأنه الحمل الذبيح ،
ملقى في جوف هذه الحفرة البغيضة المظلمة المروية
بالدم .

٢٢٥ كوينتوس : وكيف عرفته إذا كانت مظلمة ؟
مارتيوس : إنه يلبس في أصبعه الدامي ،
خاتماً ثميناً ينير الحفرة كلها ؛
وكانه السراج الذى ينير نصباً للناس

- وقد تألق ضوؤه فأضاء خد الميت
المعفر بالتراب . وأظهر جوف الحفرة العابس الوعر ٢٣٠
- كما طلع القمر شاحباً على جثة بيراموس (١)
حيث رقد غارقاً في دمه الطاهر ،
آه يا أخى ، أعنى بيدك الواهنة ،
فلئن يكن الخوف أذهلك كما أذهلنى
فأعنى على الخروج من هذه الهاوية التى تودى بكل
من يقع فيها ؛ ٢٣٥
- إنها لبغيضة حتى لكأنها مدخل نهر كوكيتوس (٢)
على باب الجحيم حين يلفه الضباب .
- كويبتوس : امدد إلى يدك فيما أن أساعدك على الخروج ،
إذا ما عجزت عن إسداء هذه اليد إليك ،
فستجذبني أنت وبيتلغنى القاع ، ٢٤٠
- قاع هذه الحفرة العميق التى أصبحت قبر باسيانوس
المسكين .

(١) بيراموس : شاب بابلي قتل نفسه لأنه اعتقد أن خطيبته «تيسى» قد افترستها
لبوة . فلما عرفت الخطيئة بموته قتلت نفسها على جثته .

(٢) كوكيتوس : نهر من الأنهار الستة التى تجرى فى الجحيم ويطلق الاسم على
الجحيم بعامه .

أنا عاجز عن جذبك لأرفعك إلى الحافة .

مارتيوس : وأنا عاجز عن الصعود ، إذا لم تعني .
كوينتوس : هات يدك إذن مرة أخرى ، فلن أدعها تفلت من
جديد

٢٤٥

حتى تصعد إلى هنا أو أسقط أنا .
فإذا لم تستطع أن تأتي إلى فاني آت إليك
(يقع في الحفرة)

(يدخل هارون رمعه ساترنيوس)

ساترنيوس : هلم معي لأرى ما شأن هذه الحفرة ،
ومن هذا الذي وثب إليها فهو فيها .
من أنت يا هذا الذي هو الآن
في هذه الثغرة المفتوحة في الأرض ؟

٢٥٠

مارتيوس : هذا أنا التعس ، ابن أندرونيكوس الكهل ،
جئني إلى هنا في ساعة مشثومة ،
لأجد باسيانوس أخاك ، ميتاً .

ساترنيوس : أخي مات ! إنك لا شك تهزل .

إنه هو وزوجه كلاهما في البيت الصغير ،
في أقصى شمال ميدان الصيد هذا الجميل
ولما تمض ساعة بعد منذ تركتهما هناك .

٢٥٥

مارتيوس : إننا لا ندرى أين تركته حياً ،
ولكن واحسرتاه قضى الأمر، وها هو ذا وجدناه
هنا ميتاً
(تدخل تامورا ومعهما حاشيتها ثم تيتوس أندرونيكوس ولوكيوس)

٢٦٠ تامورا : أين مولاي الملك ؟
ساترنيوس : هنا يا تامورا ، لكنني حزين وحزني قاتل !
تامورا : أين أخوك باسيانوس ؟
ساترنيوس : إنك تسبرين بهذا أعماق جراحي ،
فباسيانوس المسكين يرقد قتيلاً هنا
٢٦٥ تامورا : إذن لقد تأخرت أنا في إحضار هذه الرسالة المفجعة .
(تناوله الخطاب)

إن فيها خطة تنفيذ هذه الفاجعة المفاجئة .
لكم ذا أعجب كيف يُنحى وجه الإنسان .
مثل هذه الوحشية القاتلة وراء الابتسامات العذبة
ساترنيوس (يقرأ) : إذا أخطأنا التوفيق ولم يتح لنا أن نقابله
ونحن نعني باسيانوس أيها الصياد العزيز ،
فافعل ما تستطيع لتحفر القبر له .
٢٧٠ إنك ولا شك تفهم ما نعني ! ابحث عن مكافأتك .

بين أشواك القريص^(١) ، تحت اليلساة المشؤومة
التي تظلل فتحة الحفرة ،
حيث سيدفن باسيانوس كما اتفقنا .
نفذ هذا تكسب صداقتنا الأبدية .

٢٧٥

آه يا تامورا ، أسمعت بمثل هذا من قبل !
هذه هي الحفرة ، وتلك هي اليلساة ،
انظروا أيها القوم ، فقد تعثرون على الصياد ،
الذي كان عليه أن يقتل باسيانوس هنا .

٢٨٠

هارون : مولاي الكريم ، وهذا كيس الذهب !
ساترنيوس (ليتيوس) : إنهما اثنان من جرائك ، كلبان من النوع
الوحشي الدموي
سلبا أخى حياته هنا .

ارفعوهما أيها القوم من الحفرة إلى السجن ،
ودعوهمما يقبلا هناك حتى نبتكر لهما
صنفاً من العذاب الأليم لم يسمع به من قبل .
تامورا : ماذا ؟ أهما في الحفرة ، يا للغرابة .

٢٨٥

(١) القريص : نبات ينبت بكثرة في الأراضي البور ويغطي غصونه شعر
شائك .

ألا ما أسهل أن تكتشف الجرائم .

تيتوس : إنى أركع على ركبتي الضعيفتين ، أيها الإمبراطور

العظيم ،

وأسألك بدموع ، ليس هيناً على ذرفها ، أن تحقق

لى رجاء :

٢٩٠

لو أن الجريمة الوحشية التي ارتكبتها ولدای اللعينان،

نعم لعينان ، إذا ثبتت عليهما هذه الجريمة . . .

ساترنيوس : إذا ثبتت عليهما ؟ ! إن الأمر لبين كما ترى !

من الذى وجد الرسالة ؟ أنت يا تامورا ؟

: قد حملها إلى أندرونيكوس نفسه .

٢٩٥ تامورا

تيتوس : نعم فعلت يا مولاي ، ولكن دعنى أكن كفيلا

لهما ،

فأنا أقسم بقبر آبائى المقدس ،

أن يكونا دائماً رهن مشيئة جلالتك ،

حتى يدفعنا عن نفسيهما بحياتهما ما حولهما من

شكوك .

٣٠٠ ساترنيوس : لا ، لن تكفلهما . وهلم اتبعنى ،

فليحضر بعضكم القليل ، وبعضكم القليلة ،

ولا تسمحوا لهما بأن ينطقا بكلمة ، فالجريمة بينة .

ووالله لو أن هناك نهاية شرّاً من الموت لفقدناها
فيهما .

تامورا

: سأرجو الملك يا أندرونيكوس ،

٣٠٥

فلا تخش على ولدك فسيجدان لأنفسهما مخرجاً

تيتوس

: لوكيوس ! تعال ! تعال لا تقف لتحدثهما .
(يخرجون)

الفصل الثاني

المنظر الرابع

جانب آخر من الغابة - ديمتريوس وشيرون ومعهما لافينيا وقد اغتصبت وقطعت
يداعا وبتر لسانها

ديمتريوس : هيا اذهبي الآن ، فإن استطاع لسانك النطق ،

فاحكي عمن بتر لسانك وعمن اغتصبك

شيرون : أو فاكثبي ما يحول مخاطرك وافصحى عن معانيك ،

هذا إذا أمكنتك بقايا ذراعيك من أن تقوى بدور
الكاتبة .

ديمتريوس : انظر كيف تنبس بالرموز والإشارات .

شيرون : هلم عودى إلى البيت فاطلبى ماء معطراً لتغسلى

يديك .

ديمتريوس : لا لسان لها لتطلب ولا يدين فتغسلهما .

دعنا إذن نتركها للسير فى نزهاتها الصامتة .

شيرون : لو أننى مكانها لشنقت نفسى .

ديمتريوس : إذا كانت لك يدان تعينانك على عقد الحبل

(يخرج ديمتريوس وشيرون ويدخل ماركوس)

ماركوس : من هذه ؟ أهى ابنة أخى التى تلعو هكذا سريعاً ؟ !

كلمة يا ابنة الأخ ؟ أين زوجك ؟
 إذا كنت أحلم ، فإنى أهب ثروتي كلها لمن يوقظني
 من مثل هذا الحلم .
 وإن كنت يقظاً ، فهل من شهاب يسقط على
 فيصعقتي ،

١٥

فأرقد بفضلته في سبات أبدي .
 يا ابنة الأخ الجميلة ، تكلمي ، أى يد باطشة
 غليظة ،

بترت وقطعت ، وجردت جسمك وعثرته
 من غصنيه وهما زيتته الحلوة ،
 لكم تاق الملوك إلى أن يناموا في ظلهم الظليل
 فلم يظفر منهم أحد بهذه السعادة الكبرى
 التى ينالها من يظفر ببعض حبك ، لم لا تكلميني ؟
 وأسنى ! إنه لنهر قرمزي من الدم الدافئ الدافق
 وكأنه نافورة فوارة تحركها الريح ،
 يتجمع ماؤه ويفيض بين شفتيك القرمزيتين
 غادياً رائحاً مع أنفاسك الندية الحلوة .

٢٠

٢٥

ولكن ، لا بد أن تيريس (١) آخر ، قد اعتدى عليك
وبتر لسانك حتى لا تكشفني عنه .

آه ! إنك لتديرين وجهك خجلاً !

وبالرغم من كل ما فقدت من دم ،
حتى لكأنه تدفق من صنوبر له شعب ثلاث ،
فلا يزال خدك أحمرين كوجه الشمس (٢)
وقد أحجلها لقاء سحابة .

٢٠

أأتكلم عنك ؟ أقول هذا ما حدث ؟
آه لو عرفت ما في قلبك ؟ آه لو عرفت هذا الوحش
لأنطلقت في سبابه حتى أريح نفسي .
إن الأسى المكتوم لشبيه بالتنور المغلق .
يحرق القلب ويحيله رماداً حيث هو .
إن فيلوميل الحميلة لم تفقد إلا لسانها ،
فنسجت ما يدور بخلدتها نسجاً متقناً دقيقاً وعرضته .

٢٥

(١) انظر ص ٣٠٢ ماث (١)

(٢) وجه الشمس : في الأصل وجه تيتان ، وهو إله الشمس القديم وأحد
العمالق الذين حاربوا جوبيتر . واحمرار وجه الشمس خلال السحب أو الضباب صورة
مفتعلة - كما يرى ييلدون - لوجه لافينيا وقد أحجلها ما ضي فيه من خزي يعبر عنه ماركوس
بالسحابة .

ولكنك حرمت يا ابنة الأخ الحميلة حتى هذه الوسيلة.

٤٠

لقد التقيت بتيريوس أكثر خبثاً ،

فبتّر تلك الأصابع الدقيقة .

التي كانت تستطيع أن تنسج خيراً من نسج فيلوميل .

آه ، لو أن الوحش رأى يدك البيضاء بياض الزنبق ،

وهي تهتز على القيثارة كأنها أوراق شجر الحور ،

٤٥

فتسعد الأوتار الحريرية بتقيلها ،

إذن لعجز عن أن يمسخها بأذى وإن كلفه العجز

حياته .

آه لو أنه سمع النغم السماوى

الذى يخرج من لسانك الحلوى

لألقى إذن بسلاحه وفنام .

٥٠

كما نام سربيروس^(١) كلب الجحيم عند قدمي

أورفيوس شاعر تيراس ،

هلم . نذهب لنحمل معنا لأبيك العمى ،

فمثل هذا المنظر حرى بأن يعمي عيون الأب .

(١) سربيروس : كلب له ثلاثة رؤوس يحرس أبواب الجحيم وقد غنى له أورفيوس

شاعر تيراس فنام الكلب ودخل أورفيوس إلى الجحيم .

إن أمطار العاصفة ساعة تُغرق المروج النضرة ،
 فما بال الدموع في عيون أبيك تهطل شهوراً كاملة؟!
 لا تنفري تعالى فإننا سننوح معك ،
 آه ليت التوايح يخفف من شقائك .
 (يخرجان)

الفصل الثالث

المنظر الأول

شارع في روما

تدخل جماعة من أعضاء مجلس الشيوخ وزعماء الشعب ورجال القضاء وبصحبتهم مارتيس وكوينتوس في الأغلل يقادان إلى موضع تنفيذ الحكم ويتقدم الموكب تيتوس وهو يجار بالضراعة .

تيتوس : أيها الآباء الموقرون استمعوا إلى ، أيها الزعماء النبلاء مهلاً ،

أستحلفكم بحياتي التي قضيت شبابها .
في الحروب الخطرة وأنتم نائمون آمنون .
وأستحلفكم بكل ما سفكت من دم في معارك روما العظيمة ،

وبكل هذه الليالي القارسة البرد التي أمضيها حارساً مدافعاً ،

وبكل هذه الدموع المريرة التي ترونها الآن :
وهي تملأ تجاعيد الشيخوخة في خدودي ،
ارحموا ولدي المحكوم عليهما ،

فنفسهما لم تبلغ من الشر ما نسب إليها .
 إننى لم أهلك على اثنين وعشرين ولداً من أبنائى ،
 لأنهم ماتوا فى ساحة الشرف المجيدة ،
 أما هذان ، هذان أيها الزعماء . فإنى من أجلهما
 أخط على هذا التراب ،
 (يلق بنفسه على الأرض)

١٠

بدموع روحى الحزينة ، وأرسم حسرة قلبى العميقة
 دعوا دموعى تشف غلة الأرض العصادية ،
 لأنها ستستحى وتخجل من دم ولدى الطاهر
 (يخرج الشيوخ والزعماء والآخرين والسجينان معهم)
 أيتها الأرض ، سأغمرك بالمزيد من الدمع
 يهطل مطراً من هذين الوعاءين العتيقين
 أوفر مما يسكه الربيع الشاب بشآيبه كلها ،
 وفى الصيف المجدب ، سأظل أمطر عليك دموعى
 وفى الشتاء سأذيب عنك الحليد بدموعى الحار ،
 فأستبقى الربيع ريان خالداً على وجهك
 كما تأبين أن تُسقى بدم ولدى العزيزين
 (يدخل لوكيوس شاهراً سيفه)

١٥

٢٠

أيها الزعماء المبعجلون ، أيها الشيوخ الرحماء

فكوا إيسار ولدى وانقضوا حكم الإعدام .

ودعوني أقل - وأنا الذى لم ييك أبداً -

٢٥

إن دموى الآن أصبحت هى اللسان الذى أتحدث

به وحده (١) .

لوكيوس : أبى النبيل ، عبثاً تبكى .

فالزعماء لا يسمعونك وليس هنا أحد .

إنك تشكو همومك للحجر .

٢٠ تيتوس : دعنى يا لوكيوس أضرع من أجل أخويك :

أيها الرفاق الموقرون ، أستحلفكم من جديد .

لوكيوس : سيدى الكريم ، لا زعيم هنا ليسمعك تتكلم .

تيتوس : هذا لا يهم يا قى ، إنهم لو سمعوني

ما التفتوا إلى ، ولو التفتوا إلى

٣٥ لما أخذتهم على شفقة ، ولكنى مضطر أن أضرع ،

(١) هذا البيت وما بعده : يرى بيلدون أن هذا الحديث الطويل الغريب تصوير لتيتوس وهو فى حال بين الجنون والعقل . وهى حال برع شكسبير فى وصفها فى مسرحياته المتأخرة . ويلفت بيلدون النظر كذلك إلى ما فى الموقف من تهكم شكسبيرى أصيل : فتيتوس الذى يضرع الآن من أجل حياة ولديه هو الذى قتل ابنه وهو الذى رفض ضراعة تامورا لابنها . وكذلك حديث تيتوس للزعماء ، فهو يضرع إليهم فلا يلتفتون إليه وهم الذين كانوا يريدون منحه السلطان المطلق . ولشكسبير قدرة خاصة على إبراز ما فى سير القدر من تهكم وما فى أهواء الناس من تقلب .

لإلهم دون جدوى .
 لذلك ، سأشكو همومي إلى الحجر ،
 فالحجر ، وإن لم يرق لشكاتي ،
 خير من الزعماء ، على نحو ما .
 إنه لن يقطع عليّ الشكوى ،
 بل يظل ، إذا بكيت ، متواضعاً عند قدمي ،
 يتلقى دموعي وكأنه يبكي معي .
 ولو ألبس هذا الحجر ثياباً وقورة ،
 لما استطاعت روما أن تخرج إلى الوجود زعيماً خيراً منه .
 إن الحجر لين كالشمع ، والزعماء أقسى من الحجر
 الصلد .

٤٥

إن الحجر صامت لا يسيء إلى أحد ،
 والزعماء بالسنتهم يقضون على الناس بالموت .
 (ينهض)

ولكن فيم وقوفك وسيفك مسلول ؟
 : حاولت إنقاذ أخوي من الموت ،

لوكيوس

فحكم القضاة على ،

بعقوبة النفي المؤبد .

: أيها السعيد ، لقد أحسنوا إليك صنعاً ،

تيتوس

٥٠

نعم ، أيها الأحق ، لوكيوس ، أأست ترى ،
كيف أن روما أصبحت غاباً تغص بالتمور ،
والتمور لا بد لها من صيد ، وليس في روما كلها
ما يصاد

٥٥

إلا أنا وذوي . كم أنت سعيد إذن ،
بأن تنفي بعيداً عن هذه الضواري !
ولكن من هذه القادمة مع أخينا ماركوس .
(يدخل ماركوس ولافينا)

ماركوس : تيتوس ! هي عيونك الواهية للبكاء ،
وإلا فأعدّ قلبك النبيل ليتحطم
إنني أحمل إليك — في شيخوختك — حزناً سيقضي
عليك .

٦٠

تيتوس : أو يقضي على حقاً ؟ دعني إذن أره .
ماركوس : هذه كانت ابنتك .
تيتوس : نعم ، يا ماركوس ، وما تزال .
لوكيوس : ويلي ! إن هذا يقتلني !
٦٥ تيتوس : أيها الصبي الخائر القلب ، انهض وانظر إليها ،
لافينا ، ابنتي ! تكلمي ! أي يد لعينة ،
جعلت أباك يراك بلا ذراعين .

أى أحرق أضاف إلى البحر الزاخر بالألم فيض ألم

جديد ،

أو حمل لطر وادة المشتعلة المتوهجة شعلة من النار ؟
قد فاض حزنى قبل أن تصلى إلى .

٧٠

وأصبح الآن كالنيل يفيض ولا يكثر بسدود
تعرضه .

أعطنى سيفاً ، فسأبتر ذراعى أيضاً .

لقد حاربنا من أجل روما دون طائل ،

وصاننا لى حياتى حتى أعيش لأرى هذا الويل .

كم رفعتهما فى دعاء لم يستجب ؛

٧٥

ولقد استخدمتهما طويلا لغرض لا فائدة منه ؛

وكل ما أطلبه إليهما الآن ،

هو أن تعيننى إحداهما على أن أقطع الأخرى .

إنه لمن الخير ، يا لافينيا ، ألا يكون لك ذراعان .

فلا جدوى من كل ما تأتى به الذراعان من أجل

روما .

٨٠

لوكيوس : أختى الوديدة ، انطقى ، من ذا الذى شوهك ؟

ماركوس : آه ، إن هذه الأداة اللطيفة ، أداة تعبيرها

التي كانت تشيع أفكارها فى بلاغة أسرة

قد انتزعت من جوف القفص الجميل ،
حيث كانت تنشد ، كطائر غريد عذب ،
نغماتها الشجية المتنوعة لتأسر بها كل أذن وتسحرها .

٨٥

لوكيوس : أجب أنت إذن عنها ، من فعل بها هذا ؟

ماركوس : وجدتتها هكذا ! شاردة في البستان ،

تحاول أن تستخفي كظبية ،

أصابها جرح لا يبرأ .

٩٠

تيتوس : كانت طبييتي الغالية ، والذي أصابها

قد نال مني أكثر مما أرداني بإصابته تلك قتيلا .

فأنا الآن ، كالواقف على صخرة ،

وقد أحاط به بحر واسع ،

فراح يرقب المد المتزايد يعلو موجة فوجة ،

٩٥

متوقفاً كل حين موجة خبيثة ،

تبتلعه في جوفها المترع الملح .

من هذا الطريق ، ذهب ولدائ الشقيان إلى الموت ،

وابني الآخر هنا ، مني من وطنه ،

وهذا أخى يبكي آلامى ،

١٠٠

غير أن اللطمة الكبرى التى أصابت روحى ،

إنما هى لافينيا العزيزة ، فهى أعز على من روحى .

ولو أننى رأيت صورتك يا لافينيا وأنت على هذه الحال ،

لخنت ، فإذا أنا فاعل الآن ،

وأنا أراك على هذه الحال بلحملك ودمك ؟ ١٠٥

ليست لك يدان تمسحان بهما دموعك ،
وليس لك لسان تخبرينى به عن شوهك .

أما زوجك فقد مات واتهم بموته
أخواك ، فحكيم عليهما بالموث .

انظر يا ماركوس ، وانظر إليها يا ولدى لوكيوس ! ١١٠

لم أكد أذكر اسم أخوها حتى تجمعت الدموع
وسقطت على خديها ، وكأنها قطرات الندى ،
على زنبقة مقتطفة أوشكت أن تذبل .

ماركوس : ربما كان بكاؤها لأنهما قتلا زوجها ،
بل ربما بكّت لأنها تعلم أنهما بريثان . ١١٥

تيتوس : لو أنهما قتلا زوجك ، فأظهري لنا الفرح ،
فقد انتقم لك منهما القانون .

كلا ، كلا ، لن يقدمنا على مثل هذه الفعلة الشنعاء ،
وحزن أختهما يشهد بهذا^(١) .

(١) هذه أول مرة تعرف فيها لافينيا أن أخوها قد اتها بقتل زوجها. ولا شك أنها تظهر حزناً شديداً لما عرفت وتحاول جاهدة أن تنفى التهمة .

لا فينيا الوديعه دعيني أقبل شفتيك ،
أو اصطنعي إشارة أعرف منها كيف أخفف عنك ،
أنجتمع : عمك الطيب ، وأخوك لوكيوس ،
وأنا ، وأنت ، فنجلس حول نافورة ،
نتطلع إلى أغوارها لنرى حدودنا ،

١٢٠

وكيف تقرحت ، فكأنها مروج لم يتم جفافها
بعد أن كساها الفيضان غطاء من الطين ؟
أم نظل نحدق طويلاً في النافورة

١٢٥

حتى يفقد الماء الصافي طعمه العذب ،
وقد أحلناه بدموعنا الساخنة بركة ملحة ؟
أم نقطع أيدينا كما قطعت يدك ؟
أم نقضم ألسنتنا ، ونظل خرساً

١٣٠

حتى تنقضي البقية الباقية من أيامنا التعبة ؟
ماذا نفعل ؟ هلم وما زالت لنا ألسنتنا
نتفاهم بها كيف ندبر أمر شقاء جديد ننزله بأنفسنا
فتثير منا العجب في غدنا القريب .

١٣٥

: ألي العزيز ، كفكف دموعك فحزنك
كما ترى ، يجعل أختي البائسة تبكي وتنتحب .
: صبراً ، يا ابنة الأخ جفف دموعك ، ياتيتوس الطيب .

لوكيوس

ماركوس

تيتوس : آه يا ماركوس ، يا ماركوس . يا أخى ، إني لأعلم
كل العلم

أنه لم تعد لمندليك طاقة على أن يشرب قطرة من دموى
١٤٠ فقد شبعته بللا بدموعك أيها المسكين .

لوكيوس : لافينيا ، سأمسح لك خدودك .

تيتوس : انظر يا ماركوس ، انظر ، إني أفهم إشارتها ،

لو أن لها لساناً . لقاتل الآن

لأخيها . ما قلته لك .

١٤٥

إن منديله قد أشيع بللا بدموعه الصادقة ،

فما يستطيع لخدودها الحزينة تجفيفاً .

يا لهذا التآسى بيننا !

إنه بعيد عن أن يجدى بعد الجحيم عن الجنة .

(يدخل هارون)

١٥٠ هارون : تيتوس أندرونيكوس ، إن مولاي الإمبراطور

يبعث إليك بهذه الرسالة : إذا كنت تحب ولدك ،

فدع ماركوس ، أو لوكيوس ، أو أنت يا تيتوس

الشيخ ،

أى واحد منكم فليبادر بقطع يده

ويرسلها للملك . وفى مقابل هذه اليد

يرد الملك إليك ولديك حين ،
وسيعد هذا تكفيراً كافياً عن خطئهما .
: ما أرحم الإمبراطور ، وما أكرمك يا هارون ،
وهل غرد الغراب هكذا يوماً كأنه قبرة
تحمل إلى تباشير الصباح الحلوة كما تحملها أنت؟
سأرسل للإمبراطور يدى وأنا راض كل الرضى ،
فهل لك يا هارون ، يا أيها الرجل الصالح ، أن
تساعدنى على بترها .

تيتوس

: تحمل يا أبى . إن يدك النبيلة هذه

التي طالما أطاحت بكثيرين من أعدائنا
لن ترسل ، إن يدى أنا تقى بالطلب ،
وشبابى يحتمل التضحية بدمه أكثر منك ،
وهذا لن تفقد حياة أخوى إلا يدى .

: أى يد من أيديكما لم تحم روما ،

ماركوس

ولم تشرع سلاح الحرب الدامى

لتنزل به الدمار على رؤوس الأعداء ؟

آه ، ليس بين أيديكما يدم تأت المجيد من الفعال ،
أما يدى فلم تك قط لإعاطفة ، فدعونى أستخدمها
فى فداء أولاد أخى من الموت .

فأحس بذلك أنى حين استبقيتها قد ادخرتها لغرض
مجدد .

هارون : لا ! هلم اتفقوا ، أيكم ستهب يده إلى الإمبراطور؟

فإننى لأخشى أن يقتلا قبل أن يجيئهما العفو . ١٧٥

ماركوس : سنرسل يدي !

لوكيوس : لا وحق السماء ، لن ترسل !

تيتوس : كفى خلافاً أيها السادة ، فثل هذا العشب الذابل ،

أخرى به أن يجتث ، فلتكن يدي إذن !

لوكيوس : أبى العزيز ، لو أردت أن يصدق الناس أننى ابنك ،

فدعنى أخلص أخوى من الموت . ١٨٠

ماركوس : إنى أستحلفك بأيينا وبعطف أمنا علينا

أن تدعنى أبرهن لك على حب أخيك

تيتوس : اتفقاً إذن فيما بينكما ، فلن أقدم يدي .

١٨٥ لوكيوس : سألتبس خنجرأ .

ماركوس : ولكنى أنا الذى سيستخدمه

(يخرجان)

تيتوس : هارون ، اقرب منى ، فسأخذعهما ؛

أعزنى يدك لتعاوننى فسأعطيك يدي أنا .

هارون(على حدة): إن كان هذا هو الخداع فصحاً له ؛ سأكون شريفاً ،

ولن أخدع الناس ما حييت بهذا النوع من الخداع ،
ولكنني سأخدعك يا هذا على نحو آخر ،
ولن يمضي نصف ساعة إلا وتعرف أنت نفسك
بالفرق بين خداعي وخداعك ،

١٩٠

تيتوس : كفاً عن خلافكما الآن ، إن ما يجب أن يكون
قد كان ،

أى هارون الصالح ، أعط جلالته يدي ،
وقل له إنها يدٌ طالما حمته

من ألف خطر ، واسأله أن يدهنها كما يليق بها ؛
إنها تستحق الكثير ، فلا تحرمها هذا على الأقل :
أما ولدي . فقل له إنى لأرى أنهما

١٩٥

جواهرتان ثميتان قد اشترينا بثمان يسير ،
ولكنه مع ذلك ثمن غال ، لأننى اشتريت به ما
ما لا يملكه غيرى ،

هارون : ها أنا ذا ذاهب يا أندرونيكوس ، فتوقع فى مقابل
يدك ،

٢٠٠

أن يكون ولدك معك عن قريب .

(على حدة) أعنى رأسيهما ، يا له من شر

يملؤنى ، مجرد التفكير فى الإقدام عليه ، زهواً
وابتهاجاً .

إنى أترك الخير للحمقى ، وأدع السعى فى اكتساب
رضى الناس للبيض ،

فما يريد هارون إلا نفساً سوداء كوجهه .

٢٠٥

(يخرج)

: آه إنى لأرفع يدى الوحيدة ضارعة إلى السماء ،

تيتوس

وأجشو بجسمى كالحطام الخائر على الأرض .

فإذا كانت هناك قوة تعطف على دموع البائسين ،

فإنى أناديها . (إلا لا فينا) ماذا ؟ أتريدى أن

تركعى معى ؟ !

افعلى إذن ! أيتها الحبيبة العزيزة فإن لم تسمع السماء

٢١٠

صلواتنا ،

فسيكفهر الجو من أنفاس تهلاتنا ؛

وستغشى الشمس غيرة* من ضباب آهاتنا كما

تغشاها السحب .

عندما تحتضن الشمس وهى تذوب من حرها .

: أخى تكلم كلاماً معقولاً رزيناً .

ماركوس

ولا تلق بنفسك فى هذه المهاوى السحيقة من الحزن .

٢١٥

تيتوس : أوَ ليست أحزاني عميقة لا قرار لها ،

فليكن إذن عذابي مثلها لا قرار له !

ماركوس : ولكن ، تحكم في أحزانك بعقلك .

تيتوس : لو أن لهذه الأرزاء أسباباً تعقل

لاتخذت القيود التي أقيد بها حزني ، وأحدّ منه . ٢٢٠

إن السماء إذا بكّت غرقت الأرض من فيضائها ،

وإذا عصفت الريح على البحر ، ازبد البحر في

جنون يتزايد

وكأنما هو يهدد السماء بصفحة الكبيرة المتنفخة

المتعالية .

أوَ تريد بعد ذلك أن تعرف سبباً لهذا الاضطراب ؟!

إنى أنا البحر .. فأنصت . كيف تعصف الرياح

بأنفاس زفرتها الحارة (١) ٢٢٥

إنها السماء الباكية . وأنا الأرض ،

ولابد لماء بحري من أن تحركها زفرتها !

(١) يبدو التكلف والتعقيد في مواصلة استخراج المعاني من التشبيه الأول . وقد يحس

القارئ الحديث أن في هذا مخالفة بينة لذوقه ، غير أن هذه الطريقة كانت شائعة في العصر

الإليزابيثي . وهذا الأسلوب كان شائعاً لدى شكسبير وغيره من شعراء العصر (بيلدون) .

ولا بد لدموعها وهي تنسكب هطالة غزيرة على
أرضي

من أن تجعل منها طوفاناً ، يطغى على كل شيء
ويغرق . . .

تسألني لماذا لا تستطيع أحشائي أن تخفي ويلاقي ،
ذلك أني كالسكران لا بد لي أن أخرج ما في جوفي (١) .

٢٣٠

سامحني إذن ، فلا حرج على الخاسرين
من أن يفرجوا عما في نفوسهم بكلام مرور .

(يدخل رسول يحمل رأسين ويداً)

الرسول : يا أندرونيكوس المبجل ، شر ما جوزيت
على هذه اليد الكريمة التي أرسلتها إلى الإمبراطور .

إليك رأسي ابنيك النبيلين ،

٢٣٥

وتلك يدك قد ردت إليك مهانة بعد أن سخروا منها ؛
فلقد اتخذوا من رزئك تسلية ؛ ومن تفرق أطرافك
هزأة ،

فواحسرتا إن مجرد تفكيرى في آلامك يملؤني حزناً
أجل من حزني إذا ما تذكرت وفاة أبي .

٢٤٠

(١) الصورة غليظة خافية ، وكان المظنون أن يستبدها شكبير لو أنه راجع
المسرحية ، غير أن بقاءها أدل على خشونة ذوق العصر وجفوته (بيلدون) .

ماركوس : ألا فلتخمد الآن نار بركان « إتنا »^(١) المشتعلة في
صقلية ،

وليصبح قلبي هو الجحيم الملهب الذي لا ينطق
أبداً ؛

إن احتمال هذه الكوارث لفوق طاقة البشر .

فلقد يخفف عن الباكين مشاركة القوم لهم في البكاء ،

أما السخرية من أرزائهم فهي الموت المضاعف .

لوكيوس : آه ، ما لهذا المنظر البشع يدمي الجرح العميق ويعمقه ،

ومع هذا فلا تنساب الحياة البغيضة مع دمائه ،

فتزابل الجسد !

(يخرج)

يا للموت الذي جعل الحياة تحمل اسمه

حين لم يبق من الحياة سوى ترجيع النفس .

(لافينيا تقبل تيتوس)

ماركوس : واحسرتنا على هذا القلب المسكين ، إنها لقبله لا عزاء

فيها ،

كأنها ماء متجمد أمام ثعبان عضه الجوع .

تيتوس : أما لهذا الليل البهيم المخيف من آخر ،

(١) بركان إتنا: شمال صقلية الشرق ، يبلغ ارتفاعه حوالي ٣,٣١٣ متراً ويتخذ

الأساطير مكاناً « لفولكان » وقد اشتهر البركان إلى جانب ذلك بانفجاراته المتتعة الفظيعة .

ماركوس : ودع هذه الأوهام الخادعة ، واستقبل الموت
يا أندرونيكوس ،

إنك لست غافياً ، انظر . هذان رأسا ولديك ،

وهذه يدك المجاهدة ، وهذه ابنتك الشواء .

٢٥٥

وهذا ابنتك الآخر محكوم عليه بالنفى . إن هذا
المنظر البشع

خليق أن يصعقك ، فإذا أنت مصفر قد هرب دمك ،

أما أنا أخوك

فإني أشبه ما أكون بتمثال من حجر بارد

لا يشعر .

آه ، لن أطلبك بعد الآن بالتعقل والقصد في

أحزانك ،

هلم انتزع شعرك الأشيب الفضى ، شعرة شعرة ،

ويدك هذه الأخرى ،

هلم فاقرضها بأسنانك ، وليكن هذا المنظر المريع

٢٦٠

آخر ما نغلق عليه أبصارنا الشقية .

لقد حان الوقت المؤذن بالعاصفة العارمة ، فلم أنت

ساكن !

تيتوس : ها ، ها ، ها (١) !

٢٦٥ ماركوس : لم تضحك وليس هذا أوان ضحكك ؟

تيتوس : لم ! لأنه لم تعد في عيني دمة واحدة فأسكبها .

إن هذا الحزن عدو مغتصب غاشم ،

أخشى أن ينقض على عيوني الدامة

فيفرض عليها ضريبة من الدمع تعميها .

٢٧٠ أين الطريق لأستخفي منه في كهف الانتقام ؟

هذان الرأسان ، لكأنهما يحدثنني

ويهددانني بأنى لن أظفر بالحنة ،

حتى ترتد هذه الشرور مرة أخرى ،

إلى نحور مرتكبها .

٢٧٥ هلم ، فلأنظر الآن فيما على من تدبير أمر .

التفوا حولي أمها البائسون .

حتى أتجه إلى كل واحد منكم ،

وأقسم له بحياتي أن أنتقم له لما أصابنا فيه ؟

(١) ضحكات تيتوس مسرحية ، فهي تغيير مفاجئ في الحال الشورية ، ونقطة بدء جديدة في أحداث القصة . إن حزن تيتوس الشديد يتحول فجأة إلى شهوة عارمة للانتقام ويبدو أنه وضع في هذه اللحظة خطة الانتقام التي تقوم عليها بقية المسرحية ، وبعدها تعاوده قدرته على القيادة فيترجم الجميع من جديد ويرسل لوكيوس إلى بلاد القوط ليجمع جيشاً . (بيلدون)

والآن ، لقد أقسمنا القسم . فهل يا أخى خذ رأساً
وسأحمل الأخرى فى يدى هذه ،
وأنت يا لافينيا ، ستشتركين فى الأمر .
احملى يدى يا بنيتى الحلوة بين أسنانك .
أما أنت يا ولدى فهل ابتعد عن ناظرى ،
إنك منى ، فيجب ألا تبق .
انطلق إلى بلاد القوط واجمع هناك جيشاً .
وإذا كنت تحبني حقاً ، كما أظنك تفعل ،
فهل تبادل قبل الوداع ولنفترق ، فإن لدينا عملاً
كثيراً .

٢٨٠

٢٨٥

(يخرج تيتوس وماركوس ولافينيا)

لوكيوس : وداعاً يا أندرونيكوس ، يا أبى النبيل ،
إنك لأشقى رجل وجد فى روما ،
وأنت يا روما العظيمة ، وداعاً ، ولكن لا بد أن
يعود إليك لوكيوس ،
فلقد ترك لديك ودائع أعز عليه من الحياة^(١) .
لافينيا ، وداعاً يا أخى الكريمة ،
آه . . لو تعودين كما كنت !

(١) معنى البيت غامض ، والترجمة تماشى تفسير بيلدون .

واحسرتاه إن لوكيوس ولا فينيا كلاهما لا يعيش الآن ،
 إلا في زوايا النسيان غارقين في الأحزان البغيضة ؛
 ولئن عاش لوكيوس لينتقم لما أصابك ،
 وليجعلن سانه رنينوس المتعجرف وإمبراطورته
 يتسولان على الأبواب كما تسول «تاركوين»^(١)
 ومليكنه .
 إننى ذاهب الآن إلى أرض القوط أجمع قوة ،
 لأنتقم بها من روما ومن ساترنيين .
 (يخرج)

(١) Tarquin : ثامن ملوك روما ، اعتدى على سيدة رومانية هى لوكريس فأدت جريمته إلى سقوطه عن عرشه سنة ١٠٥ ق . م كما أدت إلى تأسيس الجمهورية الرومانية وقد كان من بين من تعاونوا على إسقاطه جونيوس بروتس والإشارة إلى هذه الحادثة متكررة فى المسرحية .

الفصل الثالث

المنظر الثاني

غرفة في دار تيتوس تبدو فيها مائدة ، يدخل تيتوس وماركوس ولافينيا وابن لوكيوس الصغير .

تيتوس : حسناً ، تفعلون ، اجلسوا الآن ، واحرصوا ألا تأكلوا ،
إلا بمقدار ما يحفظ علينا قوة

تمكثنا من الانتقام لمصائبنا المريرة .

ماركوس ، احلل عقدة ذراعك التي عقدها الحزن
على صدرك .

فأنا وابنة أخيك كائنات تعيسان قد فقدنا الأذرع ،
فلا نستطيع ، وإن طغى علينا الحزن أضعافاً ، أن

نعبّر عنه مثلك

بالأذرع المطوية على الصدر ، إن يدي اليمنى هذه
المسكيننة

لم تبقى إلا لتستبد بصدرى .

فلماذا جن قلبي من الألم ،

وأخذ يضطرب في سجنه الأجوف من جسدى

ضربت صدرى بقبضتي هكذا حتى يهدأ .

(مخاطباً لافينيا) أما أنت ، يا صورة الأسى التى لا تتكلم إلا رمزاً ،
إنك إذا اضطرب قلبك المسكين بوجيبه المحنون
الناثر

فإنك لن تستطيعى أن تضربيه هكذا ليسكت .
الفحيه يا فتاتى بنار آهاتك ، واقتليه بحر أنينك ،
أو هاتى سكيناً صغيراً وضعيه بين أسنانك ،
وتعالى إلى أقرب ما تكونين من قلبك ، وافتحى فيه
ثغرة ،

١٥

حتى تجرى الدموع المسفوكه من عينيك المسكيتين
لتنصب فى هذا الوعاء حتى يترع ،
فتغرق نفسك الحزينة فيه فى بحر ملح من
الدموع .

٢٠

ماركوس : يا أخى ، حسبك ، ولا تعلمها كيف تعتدى
على حياتها الضعيفة بيد آثمة .

تيتوس : ويحك هل أخذت تهذى من الحزن ؟
ما ينبغى أن يجن أحد سوى يا ماركوس ،
أين هذه اليد المحرمة التى ستعدو بها على حياتها ؟
ما بالك تردد لنا كلمة اليد ؟

٢٥

أَوْ تريد أن تسأل إينياس^(١) أن يقص من جديد
كيف أحرقت طر وادة ، وكيف أصبح شقيماً ؟
كلا ، لا تعرض لهذا الموضوع ولا تعد لذكر
الأيدي ،

حتى لا نذكر أننا فقدناها . .

٣٠

ويلي ! كم أسوق الحديث كالمجانين !
أَوْ يمكن أن ننسى أننا فقدنا أيدينا
إذا لم ينطق ماركوس بلفظة « الأيدي » ؟
هيا ، هيا نقبل على الطعام ، كلى هذا يا فتاتي
الوديعة ،

فليس لمثلك أن تشرب ، يا ماركوس ، اسمع ماتقول !
إنني لأفهم رموز هذه الشهيدة جميعاً ،
إنها تقول إنها لا تشرب غير الدموع
التي اعتصرت من حزنها لتمتزج على خدودها فتختمر ،
أيتها الشاكية الصامته ، سأتعلم كيف أقرأ أفكارك ،
وأجيد ترجمة إشاراتك الخرساء ،

٣٥

٤٠

(١) إينياس : الأمير الطروادى الذى حارب اليونان بشجاعة أثناء حصارهم لطروادة
حتى إذا سقطت سافر إلى إيطاليا ونزل فى منطقة «لاتيوم» . وحياة إينياس هى موضوع ملحمة
فرجيل الشهيرة .

إجادة الراهب الفقير لصلواته المقدسة .

إنك لن تتأوهي أو ترفعي ذراعيك المبتورتين إلى السماء ،

ولن يختلج لك جفن أو تحركي رأسك حركة ، ولن تركعي أو تشيرى أية إشارة إلا استخلصت منها حروفاً أطلعها ،

ثم أواصل المران حتى أتعلم كيف أفهم كل ما تعين .
٤٥ الغلام : يا جدى العزيز ، كف عن هذا النواح المخلص الحزين ،

وأدخل السرور على قلب عمى بحكاية لطيفة .

ماركوس : وا أسفاه على الصبي الرقيق ، يحركه الأمل ، فيسكى إذ يرى جده فى هذا الكرب القطيع .

٥٠ تيتوس : اسكت أيها الصغير الرقيق ، فإنك مصنوع من دموع ،

وستصهر الدموع حياتك حتى تفنيها سريعاً .

(ماركوس يضرب صحنه بسكينه)

ماذا أصبت بسكينك يا ماركوس ؟

ماركوس : لم أصب يا مولاي غير ذبابة أردت قتلها .

تيتوس : ويل لك يا قاتل ! لقد أصبت قلبي ،

أما كفاني ما ملأ عيني من مناظر الطغيان !

..

إن قتل البريء جرم

لا يليق بأخي لتيتوس ، هيا اذهب من هنا . .

فما أراك تصلح لصحبتى .

: واأسنى يا مولاي ! إني لم أقتل إلا ذبابة !

ماركوس

: أو ليس لهذه الذبابة أب وأم ؟

٦٠ تيتوس

أتى لها أن ترفع أجنحتها الرقيقة المذهبة ،

فى الهواء فتقص قصة ما قد أصابها من أحزان .

يا للذبابة المسكينة ، إنها لم تجن شيئاً ،

جاءت إلى هنا ، بطينها الرقيق

للتلخل السرور علينا ، فإذا بك تقتلها !

٦٥

: عفوك يا سيدى ، لقد كانت ذبابة مشثومة سوداء

ماركوس

أقرب ما تكون شها بالأسود صاحب الإمبراطورة ،

لذلك قتلها

: آ... آ... آ...

تيتوس

اغفر لى إذن أننى لملك ،

فلقد أتيت عملاً طيباً .

٧٠

هات سكينك ، فأنا أيضاً سأمثل بها ،

موهما نفسى أنها هى الأسود .

قد جاء هنا ليدس لي السم في طعامي .
 خذى ، هذه لك ، وتلك لتامورا ،
 آه ، مرحى !

٧٥

غير أنى لا أظن أننا نزلنا إلى هذا اللرك
 بحيث نشترك كلنا في قتل ذبابة لا لشيء
 إلا أنها أشبهت شخصاً أسود كالقحم .

ماركوس : يا للرجل المسكين ، لقد هذه الحزن ،

٨٠

فرأى الخيالات الباطلة واقعاً مرئياً
 : هلم ارفعوا المائدة ، وتعالى معى يا لافينيا ،
 سأصحبك إلى حجرتك فأقرأ لك ،

تيتوس

قصصاً حزينة ، حدثت في الزمان الغابر .
 وتعال أنت يا بني معى ، فإزال بصرك غصاً حديداً
 فإذا ما كل بصرى قرأت لها أنت بدلا منى .
 (يخرجون)

٨٥

الفصل الرابع

المنظر الأول

روما - حديقة تيتوس . يدخل تيتوس وماركوس ، ثم يدخل لوكيوس الصغير حاملاً في يده كتبه ثم لافينيا تجرى وراءه .

- الغلام : جدى ، أنجدنى ، إن عمى لافينيا
تعدو خلقى فى كل مكان، ولا أدرى لماذا ؟
يا عمى ماركوس ، انظر ما أسرع عدوها نحونا .
وأسفاً يا عمى الحبيبة ، أنا لا أفهم ما تعين .
ماركوس : لوكيوس ! ! تعال إلى جانبي ولا تخش عمك .
تيتوس : إنها لتحبك يا بنى ، تحبك كثيراً فلا يمكن أن تؤذيك .
الغلام : نعم ، كانت تحبني أيام كان أبى فى روما .
ماركوس : ولكن ماذا تعنى ابنة أخى لافينيا بهذه الإشارات .
تيتوس : لا تخش منها يا لوكيوس ، فلا بد أنها تعنى شيئاً !
انظر يا لوكيوس ، كم تشير إليك .
وكأنما تريدك أن تذهب معها إلى مكان ما .

تأكد يا بنى أن كورنيليا^(١) نفسها لم تحرص
على أن تقرئ أولادها ، كما حرصت عمك على
أن تقرأ لك

الشعر العذب وخطب شيشرون .

ماركوس : ألا يمكن أن تحدثس لم تلح هكذا عليك ؟
الغلام : كلا يا سيدى ، ولا يمكن أن أتصور
إلا أنها قد أصيبت بنوبة جنون .

فلكم سمعت جدى يقول :
إن المرء ليجن من وطأة الحزن الشديد .
ولقد قرأت أن هيكوبا الطروادية^(٢) ،
قد جنت من الحزن ، لهذا خفت .

٢٠

وإن كنت أعلم يا سيدى أن عمى الكريمة ،
تحبنى كما أحببى أُمى

(١) كورنيليا : كبيرة أسرة جراكى وابنة سكيون الإفريقى ، تملت ولما اثنا عشر
ولداً فلم يبق منهم إلا فتاة تزوجت ، وولدان هما تيبيريوس وكايوس جراكى . وقد شهر ابنها
بذكائهما وشجاعتهما كما اشتهرا بمصيرهما الفاجع . والإشارة فى البيت إلى حرص كورنيليا
على تربية أولادها وتعليمهم كيف يحبون الصالح العام والمجد والشعب .
(٢) Hecuba هيكوبا : زوجة بربام ملك طروادة . وأم هكتور وترويلوس
وباريس وكاساندر . ومصايرهم المفجعة هى التى سببت لها الجنون .

ولن تقدم على إفزاعى وأنا صغير إلا إذا كانت فى
فورة جنون ،

لهذا ألقيت بكتبى ، وهربت ؛

٢٥

وقد لا يكون هناك ما يدعو إلى ذلك ! ! فىا عمتى
العزيزة سامعنى .

فإذا جاء معنا العم ماركوس ، فأنى يا سيدتى
على أتم استعداد لخدمتك .

: سأذهب يا لوكيوس

٢٠ ماركوس

: ماذا تبغين الآن يا لافينيا؟ ماركوس ، ماذا عساها

تيتوس

تعنى بما تفعل ؟

إن هناك كتاباً ، تريد أن تطلع عليه .

أيها يا بنية ، أيها تريدين ؟ افتحها يا بنى .

ولكن مالك ولكتب الصبي ! إنك أوسع اطلاعا ،
وأكثر دراية ،

فتعالى واختارى ما تريد من مكتبتى ،

٢٥

وأزيجى بهذا الستار عن حزنك حتى تكشف لنا
السماء عن اللعين الذى اقترف هذا الإثم .

لم ترفع ذراعها على التوالى هكذا

أظنها تعنى أنهما اثنان .

: ماركوس

اللذان اقترفا هذا الشر ، نعم اثنان !
أوقديكون أنها تكل أمرهما إلى السماء لتستقم لهما منهما .

٤٠

تيتوس : لوكيوس ، ما هذا الكتاب الذى تقيه ؟
الغلام : هو يا جدى كتاب « أوفيد » : « عن المسخ »
وكانت أمى قد أعطتني إياه .

ماركوس : لعلها ، حباً فى أمك الراحلة ،
تريد أن تستخلصه من بين هذه .

٤١ تيتوس : لا ، تمهل ، انظر ، إنها تلب الأوراق باهتمام ،
ساعدها ،

ماذا يا ترى تريد أن تصل إليه ؟ لافينيا ، أقرأ لك ؟ .
إنها قصة « فيلوميل » ومأساتها ،
التي تقص خيانة تيريوس واغتصابها ،
لكم أخشى أن يكون السر فيها أنت فيه من بلاء هو
« الاغتصاب » .

٥٠ ماركوس : أخى ، انظر كيف تحدد الصفحات .

تيتوس : يا فتاتى الحلوة ، لافينيا ، أو بوغت

كفيلوميل ، واغتصبوك وأهانوك ،

وقادوك إلى أحراج مهجورة ممتدة قابضة ؟

انظر ، انظر ! (يقرأ)

نعم إنه لوصف مكان كهذا الذى كنا نصيد فيه .
 آه ! لو أننا لم نخرج للصيد هناك فى هذا المكان ؛
 لكأنما رسم المكان على نحو ما يصف الشاعر هنا ،
 وكأنما أعدته الطبيعة ليكون صالحاً للقتل والاغتصاب .

٥٥

ماركوس : آه ؛ لم تصنع الطبيعة وكرراً قبيحاً كهذا ،

إلا أن تكون الآلهة يسعدها حدوث الفواجع .

٦٠

تيتوس : أشيرى لنا يا ابنى الحميلة وافهمينا فليس هنا
 إلا الأصدقاء ،

أى رومانى جرؤ على هذا الشر .

أترأه ساترين ، تسلل كما تسلل تاركوين .

عندما ترك المعسكر ليدنس فراش لوكريس ؟

ماركوس : يا ابنة الأخ اجلسى ، واجلس أنت يا أختى إلى
 جانبي ،

٦٥

أيها الآلهة أبوللو ! بالاس ! زيوس ! أوميركورى !

ألهمنى حتى أستطيع الكشف عن هذه الحياة !

إن هذه بقعة رملية منبسطة ، فلواستطعت أن تتبعى

عصاى

هكذا مثلى ، اكتبى هكذا

(يكتب بعصاه اسمه وقد أسكنها بقمه وحركها بقدمه)

لقد كتبت اسمي ،

ولم أستخدم يداً .

٧٠

تباً لذلك القلب الذي اضطرنا لأن نلجأ لهذا .

هلم اكتبني يا ابنة الأخ الطيبة ، واكشفي آخر الأمر ،

عمن يريد الله أن يكشفه لنا لننتقم منه .

ولتهدي السماء قلمك ، فتخطي خبر ما أصابك بوضوح ،

٧٥

لنعرف الخونة ولتظهر الحقيقة .

(تأخذ العصا في فمها وتحركها بذراعيها المبتورتين وتكتب)

تيتوس : آه ، أقرأت يا سيدى ما كتبت ؟

اغتصاب - شIRON - ديمتريوس -

ماركوس : من ؟ من ؟ ابنا تامورا الفاسقان

هما اللذان اقترفا هذا الإثم الدامى الفظيع !

٨٠

تيتوس : أيها الإله الأكبر حاكم السماوات العلا ،

إلام تبطل في سماع هذه الجرائم ؟ أو رؤيتها ؟

ماركوس : هدى نفسك يا سيدى ، وإن كنت أعلم

أنه قد كتب على الأرض أن يحدث فيها ما يكفى

لأن يدفع أهدأ القلوب المطمئنة الراضية إلى التمرد
والعصيان ؛

ولأن يسلم عقول الرضع الأبرياء كيما تثور .
مولاي ، اركع معي ، واركني يا لافينيا ،
وأنت أيها الغلام ، يا أمل هكتور (١) الروماني ،
ولتقسم معاً ، كما أقسم مع جونيوس بروتس الزوج
الحزين ،

ووالد العفيفة التي دنس شرفها
إذ أقسموا على أن ينتقموا ممن اغتصب لوكريس ،
أقسموا أننا سنحكم أمرنا ، وسنظل وراء
القوط الخونة حتى ننفذ فيهم انتقامنا المميت ،
حتى نرى دماءهم مسفوكة ، أو نموت بعار العجز
عن الانتقام لأنفسنا .

: سننتقم ولا ريب ، وسترى كيف يكون الانتقام .
ولكن ، احترس ، إنك إن خرجت لتضطاد الدبية
الصغار

فقد تستيقظ أمهم ، فإذا شمت ربحك

(١) هكتور : هو ابن بريام ملك طروادة ، وبطل طروادى كبير قتله آخيل
انتقاماً لمقتل بـتروكلوس . والإشارة هنا إلى لوكيوس .

فاذكر أنها ما زالت على وفاق تام مع الأسد ،
تضاجعه وتهدهده ليغفو ،
حتى إذا ما نام فعلت ما تشاء .

١٠٠

إنك في الصيد غير خبير يا ماركوس ، فدع أنت
الأمر حتى لا تثير الريب ،

وتعال معي ، سأحضر صفحة من النحاس ،
وأحفر عليها هذه الكلمات بقلم من الصلب مستدق ،
ثم أضعها جانباً ، فإذا ما هاجت ريح الشمال
الغاضبة ،

بهذه الرمال تطايرت كما تطايرت أوراق العرافة
سبيل (١) ،

١٠٥

فكيف تحفظ درسك ، ماذا تقول يا بني ؟

الغلام : أقول إنى لو كنت الآن رجلاً يا سيدى
لما أمنوا على أنفسهم فى مخدع أمهم ؛
أولئك العبيد الأوغاد أرقاء روما .

١١٠ ماركوس : إن هذا لابننا حقاً ، وما أكثر ما قدم أبوك

(١) هذه الرمال : أى بالرمال التى كتبت عليها لافينيا وأوراق العرافة فى الأصل

Sybil's leaves ، وسبيل اسم العرافة عند القدماء .

مثل هذا لوطنه الجحود^(١) .

الغلام : وسأظل يا عمى أقدم لوطنى ، ما دمت حيًا . .

تيتوس : هلم تعال معى إلى غرفة سلاحى ،

حتى أسلحك يا لوكيوس ، ومن هناك يا بنى
ستحمل من عندى إلى ولدى الإمبراطورة
هدايا ، أريد أن أرسلها إليهما كليهما ،
تعال ! ستحمل رسالتى إليهما ؟ أليس كذلك ؟

١١٥

الغلام : نعم ، وأغمد فى صدرهما خنجرى يا جدى .

تيتوس : كلا يا بنى ، ليس كذلك ، سأعلمك طريقة
أخرى .

تعالى يا لافينيا ، إنى لأوصيك أنت بيتى يا ماركوس .
فسنخاطر أنا ولوكيوس ونذهب إلى البلاط نفسه .
نعم ، سنذهب يا سيدى ، وسنضطرهم هناك لأن
يهتموا بأمرنا^(٢) .

١٢٠

ماركوس : أيتها السماء ، أو يمكن لك أن تسمعى أنين الرجل
الصالح

(١) مثل هذا : أى من الأعمال الجريئة كتتبع أولاد تامورا حتى مخدعها .

(٢) يشير تيتوس إلى أنهما لن يهملوا فى البلاط كما حدث من قبل بل سيفرضا
الاهتمام بما يأتيا من أعمال .

ثم تترقى به أو تعطى عليه .

عليك يا ماركوس برعايته فى ثورة جنونه ،

فإن ندوب الحزن فى قلبه ، أكثر

من ضربات العدو فى ترسه المثلث .

ولكنه يبلغ من إخلاصه لوطنه أنه لا يريد أن يندفع

للانتقام ،

فانتقمى أنت أيتها السماء له ، انتقمى لأندرونيكوس

الشيخ .

(يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثاني

حجرة في القصر - يدخل هارون وديمترىوس وشيرون من جانب ويدخل لوكيوس الصغير معه أحد أفراد الحاشية من الجانب الآخر ، ويحمل تابع لوكيوس طائفة من الأسلحة قد لفت في أوراق كتبت عليها أبيات شعرية .

شيرون : هذا ابن لوكيوس يا ديمترىوس ،

يحمل إلينا رسالة .

هارون : إنها لا شك رسالة مجنونة من جده المجنون .

الغلام : سادق ، بكل الخشوع الذى تستطيعه سنى ،

أحمل إلى سموكما تحية من أندرونيكوس .

(على حدة) وأدعو آلهة الرومان أن تلعنكما معاً .

ديمترىوس : شكراً عظيماً يا لوكيوس اللطيف . . ما الأخبار ؟

الغلام (على حدة) : الأخبار أنكما كشفتما !

وعرف أنكما مجرمان موصومان بجرمة الاغتصاب .

عن إذنكما (بصوت عال)

لقد رأى جدى ، وهو موفق فيما ارتأى ، أن يرسلنى

إليكما

بخبير سلاح لديه ؛

حتى تمتعا شبابكما المحيد ،
الذى هو - كما طلب إلى أن أبلغكم - أمل روما .
وإني إذ أبلغ ذلك ، أتقدم بهداياه
لسموكم ، حتى إذا احتجتما ،
تسلحتما وتهيأتما بكامل السلاح ،
وأستأذنكما الآن (على حدة) أيها السفاكان
الوعدان

١٥

(يخرج الفلام والتابع)

ديمتر يوس : ماذا هناك ؟ لفة من ورق ، عليها سطور منقوشة
فلنقرأ ما بها :

« من كان نقي القلب بلا جريمة ،

٢٠

فلن يحتاج إلى نبال العبد الأسود ولا إلى قوسه
وسهامه المسمومة ليملاً بها كنانته » .

شIRON : هذا شعر هوراس . إني لأعرفه جيداً

وقد قرأته في الكتاب المدرسى من زمن .

٢٥ هارون : نعم ، بالضبط شعر من هوراس ! حقاً ! فهمتها .

(على حدة) ألا ما أعجب أن يكون المرء حماراً ،

إنها للعبة تفوق الوصف ! لقد كشف الشيخ جريمتها

فأرسل لهما سلاحاً ملفوفاً بالشعر ،

ليصبيهما في الصميم وهما لا يشعران .
لو لم تكن إمبراطورتنا الفظنة على فراش الوضع
لصنفت لتدبير أندرونيكوس وخطته ،
ولكن فلنتركها في عنائها لتستريح من هذا على
الأقل .

(بصوت مرتفع) : أيها السادة الشبان ، أو لم يكن نجماً سعيداً ، هذا
الذي قادنا إلى روما ، غرباء لا بل أسرى !
ثم قفز بنا صاعداً إلى هذه المنزلة الرفيعة ؟
كم سررت وأنا أمام باب القصر
عندما تحدثت الزعيم على مسمع من أخيه .

ديمترىوس : ولكنني كنت أكثر سروراً ، وأنا أرى سيداً بهذه
العظمة

يتنازل ويعطف علينا فيرسل إلينا هدايا

هارون : ألا ترى له حقاً في هذا يا سيد ديمترىوس ؟

أو لم تحسنا معاملة ابنته كل الإحسان ؟

ديمترىوس : كم أتمنى لو أن ألفت امرأة رومانية
وقعن في أيدينا ، فنشيع شهوتنا منهن واحدة فواحدة .

شيرون : هذه أمان طيبة : ملؤها الحب .

- هارون : لا تنقصكما إلا أمكما ، لتقول آمين .
 ٤٠ شبرون : ستفعل ! ولو زدناهن عشرين ألفاً .
 ديمتريوس : هلم بنا نصل لكل الآلهة كي تخفف عن أمنا الحبيبة .

هارون (على حدة) : صلوا للشياطين فقد تخلت عنا الآلهة .
 (دقائق طويلة)

- شبرون : ربما ابتهاجاً بأن صار للإمبراطور ابن .
 ديمتريوس : مهلاً ، من القادم
 (تدخل ظنر ، وطفل أسود)
 ٥٠ الظنر : سادتي ، صباح الخير ، ألم تروا هارون الأسود
 هارون : أسود ، أبيض ، أو لا لون له (١)
 فهذا هو هارون . والآن ماذا تريدن من هارون ؟
 الظنر : أيها الطيب هارون ، لقد حل بنا الخطب جميعاً ،
 أعنا ، وإلا نزل بك أنت الشقاء المؤبد .
 ٥٥ هارون : ما هذا المواء يا امرأة ؟

وما الذي تلفينه في ذراعيك وتحسسينه بين يديك .

(١) لم نربط بالمعنى الحرفي لكلمة Moor منذ أول الرواية . فكنا نترجمها عبد أو أسود أو أسمر وقد نقلنا هنا أيضاً التلاعب اللفظي على More, Moor بما يمكن أن يحتفظ باستهجان هارون لطلب المرضعة .

الظئر : شئء حبذا لو استطعتُ إخفائه عن عين السماء
 إنه عار مليكتها . وفضيحة روما العظمى ،
 لقد وضعت ! أمها السادة . وضعت
 هارون : وماذا وضعت ؟

٦٥ الظئر : أعنى وضعت طفلا
 هارون : وماذا فى هذا ! عافاها الله ! وما يكون الطفل
 الظئر : شيطان !

هارون : إذن فهى زوجة إبليس ؟
 بارك الله فى النسل

الظئر : لا ، إنه نسل بائس . محزن أسود مشثوم .
 هذا هو الطفل . قبيح كالضمفدعة
 إذا قارنته بأولاد بلدنا الشقر .

وقد أرسلته الإمبراطورة إليك لأن عليه طابعك
 ونخاتمك ،

آمرة إياك أن تغمد فيه حذخنجرك .
 هارون : خستت يا عاهرة ! وهل السواد محترق إلى هذا الحد ؟
 تعال يا أحمر الخدين ، إنك برعم جميل بلا ريب .

٧٥ ديمتريوس : ماذا فعلت يا وغد ؟ !
 هارون : فعلت ما لا تستطيع نقضه !

- شIRON : لقد أضعت أمانا ؟ !
 هارون : كلا يا أحمق ، بل حرصت على امتلاكها .
 ديمتريوس : فأضعها أيها الكلب الجهول .
 ٨٠ ما أشقى حظها ، ويا بشس الاختيار الزنيم ،
 وسحقاً لنسل هذا الشيطان الرجيم .
 شIRON : لن يعيش !
 هارون : لن يموت !
 الظئر : بل لأبد أن يموت يا هارون ، إن أمه تريد ذلك !
 ٨٥ هارون : تمولين لأبد ! إذن لن يُنفذ غيرى أنا
 هذا الحكم ، فى لحمى ودمى .
 ديمتريوس : سأبقر بطن الضفدع بحد الحسام .
 ناولينى إياه أيتها الموضع ، فسيودى به سيقى سريعاً .
 هارون : ويصبح هذا السيف أسرع فى إخراج أحشائك
 من جوفك .

(يأخذ الطفل من الظئر ويشرع سيفه)

- ٩٠ مهلاً . أيها الأوغاد القتلة ، أقتلان أخاكم ؟
 إنى لأقسم بكل سراج منير
 توهج فى السماء ساعة ولد هذا الصبي ،
 أن أقتل بحد حسامى القاصم

كل من يمس خليفتي وابني الأول .
 وإني لأنذركم أيها الصغار ، بأن أنكلاوس^(١) نفسه ،
 بكل عصابته المتوعدة من أبناء طيفون ،
 بل هرقل العظيم ، بل إله الحرب نفسه ،
 لن يقدروا جميعاً على اختطاف هذه الغنيمة من
 يد صاحبها .

٩٥

ماذا تظنون يا ذوى الحدود^(٢) الحمر والقلوب الخاوية ،
 إنكما لكاحلدران المطلية بالخير ، ولافتات الحانات
 الملوثة ،

١٠٠

أما سواد الفحم ، فخير من أى صبغ ،
 لأنه يأبى أن تملوه أى صبغ آخر غيره .
 وإن المحيط بكل مائه
 لن يحيل سواد سيقان البجع إلى بياض ،
 وإن غسلت سيقانها كل ساعة فى خضم من الماء .
 قولاً للإمبراطورة عنى إننى قد بلغت من العمر

١٠٥

(١) Erceladus ابن طيفون : أحد الجبابرة الذين حاربوا زيوس والآلهة ويقال
 إنه سجن تحت بركان إتنا .
 (٢) يتهم هارون بملامح القوط وفيهم حمرة وبياض ويشبههم باللافتات الملوثة .

ما يسمح لى بأن أرعى بُنىّ كما ينبغي ، ولتلمس
هى ما شاءت من عذر .

ديمترىوس : أو تخون سيدتك العظيمة على هذا النحو ؟
هارون : إن سيدتى هذه ، عشيقى ، أما هذا فقطعة من
نفسى .

إنه زهرة شبابى وصورته الحلوة ،
ولانى لأفضله هو على العالم أجمع ،
إنه هو الذى سأحبيه على الرغم من الدنيا كلها ؛
فإن لم يرضكم هذا فإنى لأشتم ريح عذابكم فى روما .
ديمترىوس : ولكن تصرفك سيفضح أمنا إلى الأبد .

شIRON : ستحتقرها روما على هذه الزلة الفاضحة .
الظئر : وقد يحكم الإمبراطور فى غضبه عليها بالموت .
شIRON : إن وجهى ليحمر خجلا من خزى هذا العار .
هارون : نعم ، فهذا من مميزات جمالكم ، وبياض بشرتكم ،
تبنا لهذا البياض الخائن الذى يفصح بحمرة الخجل ،
نوايا القلب الخفية ومقاصده .

هذا غلام صغير ، قد قُند لونه من طينة أخرى ،
انظرا كيف يبسم العبد الصغير فى وجه أبيه ،
وكأنما هو يقول : « أنا ابنك أنت أبها الرجل »

إنه لأخوكما أيها السيدان ، لقد غداه كما تريان في
وضوح ،

نفس الدم الذى وهبكما الحياة ،
ومن نفس الرحم الذى سجنكما فيه حيناً
خرج ! متحرراً إلى ضوء الحياة ،
نعم هو أخوكما لأمكما ، أخوكما من الجانب الذى
لا يقبل الشك ،

وإن يكن قد ختم وجهه بخاتمي .

١٣٠ الظئر : ماذا سأقول للإمبراطورة يا هارون ؟

ديمتريوس : تستر علينا يا هارون ، ماذا نفعل ؟

وسأأخذ جميعاً بمشورتك ،

أنقذ الطفل ولكن على نحو ينجيننا جميعاً معه .

هارون : إذن فلنجلس جميعاً ولنتشاور ،

ولكننى سأظل ، أنا وابنى . على حذر ،

فابقيا فى مكانكما ، وتحدثا كما شئتما ، من بعيد

فى أمر نجاتكم

(يجلسون)

ديمتريوس : كم امرأة رأيت ابنه هذا ؟

هارون : نعم ، هكذا أيها الشجعان ، إننا إذا اتفقنا

كنت كالحمل الوديع ، أما إذا تحدّيتم الأسود
الجرىء

فإن الخنزير الوحشى الهائج ، واللبؤة الجبلية الثائرة ،
بل البحر الهائج ، لن يعصف بكم ، كما يعصف
هارون .

١٤٠

ولكن أجيبي ، مرة أخرى ، من رأى الطفل ؟

الظئر

: كورنيليا القابلة وأنا ؟

ثم لا أحد إلا الإمبراطورة التى وضعت .

: الإمبراطورة ، والقابلة ، وأنت !

١٤١ هارون

قد يحفظ السر بين اثنين ، إذا قضى ثالثهما :

فعودى إلى الإمبراطورة وقول لها إننى قلت هذا .
(يطنها)

« ويك . . ويك » : إنه لصراخ الخنازير إذا

أعدت للشواء .

: ماذا تعنى يا هارون ، لم فعلت هذا ؟

ديمتريوس

: هذا يا سيدى الدهاء والحيلة ،

١٥٠ هارون

أتركها تعيش لتفضح إثمنا

وهى نمامة ، ثرثرة طويلة اللسان ؟ كلا ، أيها

السيدان ، كلا ،

سأعرفكما بخطى كلها الآن .

هناك مولد من مواطني ، يعيش غير بعيد من هنا ،
قد ولدت زوجه ليلة أمس ،

١٥٥

فجاء ابنهما كأمه أبيض مثلكما .

فاذهبوا إليه ، واتفقا معه ، وأعطيا الأم ذهباً ،
وقصا عليها ظروف الأمر كله ،

وأشرحا لها كيف أن ابنها سيعلو بهذا علواً عظيماً ،
وسيعامل معاملة خليفة الإمبراطور ،

١٦٠

لأنه سيوضع مكان ابني ؛

وبهذا تهدأ العاصفة التي يهوج بها البلاط .
ونترك الإمبراطور يدلل على أنه ابنه .

أنصتا إلى ألا ترياني أحسنت علاجها ؟ !

(يشير إلى القتيلة)

إن دوركما الآن أن تتفضلا بتشجيع جنازتها

١٦٥

إن الحقول قريبة ، وأنا شباب شهم ينجد النساء .

فإذا انتهيتما من هذه المهمة فلا تضيعا وقتاً ،

بل أرسلنا إلى القابلة ،

حتى إذا تخلصنا من الموضع والقابلة ،

تركنا للنساء الأخريات حرية الثروة كما يشأن .

١٧٠

شبرون : إنك يا هارون لا تأمن حتى الهواء ،
على الأسرار .

ديمتريوس : بهذه الرعاية ، لتأمورا ،
ستأسرها وتأسر ذويها معها .

(يخرج ديمتريوس وشبرون يحملان القتيلة)

هارون : الآن انطلق إلى بلاد الغوط سريعاً خفيفاً كالطير ،
فأودع هناك الكثر الذى بين ذراعى ،
أحبي أصدقاء الإمبراطورة سرّاً .

١٧٥

هلم يا عبد يا غليظ الشفة ، هيا بنا ، فسأبعدك
عن هنا

لأنك أنت الذى وضعتنا فى هذا المأزق ،

سأطعمك الجذور والتوت البرى ،

وأغذيك بالرائب وبالمخيض ، وأرضعك من لبن

١٨٠

الماعز ، وأسكنك الكهوف وأعدك لتكون

محارباً قوياً تقود جيشاً كاملاً .

(يخرج معه الطفل)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

ميدان عام - يدخل تيتوس يحمل سهماً علقت بأطرافها رسائل ويدخل معه ماركوس الصغير ، وببليوس وسبرونيوس وكايوس وآخرون يحملون جميعاً الأقواس .

تيتوس : هلم يا ماركوس ، هذا هو الطريق يا أبناء العم ^(١) .

والآن يا بني ، أرني مهارتك في الرماية ،

احرص على أن تسدد تسديداً محكماً حتى يصل

السهم إلى مكانه بالضبط .

إن العدالة قد غادرت هذه ^(٢) الأرض ،

تذكر هذا يا ماركوس ، غادرتها ! هربت منها !

إلى آلائكم أيها السادة ، يا أبناء العم ، هيا جميعاً ،

اسبروا غور المحيط وألقوا شباككم ،

فقد يشاء لكم الحظ السعيد ، أن تعثروا على العدالة

في البحر ،

وإن كانت نادرة هناك ندرتها على البر .

اتركا هذا ، وأنت يا ببليوس وأنت يا سمبرونيوس ،

(١) تيتوس هنا في حالة بين الجنون والعقل أو هو على الأقل يتظاهر بهذا .

(٢) Terras Astraeaequit « استراى » هى إلهة العدالة .

احفرا بالمسحاة وبالمعول بدلا من هذا

وشقا الأرض إلى أبعد أعماقها ،

حتى إذا أتيتما إلى مستقر « بلوتو »

فارفعنا إليه بالله عليكم هذه الضراعة ،

قولاله ، إنها من أجل استجداء العدالة والعون ،

ولأنها مرفوعة من أندرونيكوس ، الشيخ .

الذى هددته الأحزان في روما الجاحدة .

أى روما ، حقاً ، إني أنا الذى أشقاك

حين ألقيت بتأييد الشعب

إلى الذى ينزل بي طغيانه الآن .

هلم فانصرفوا ، وأرجوكم جميعاً أن تلتفتوا كل الالتفات

فلا تفوتنكم سفينة من سفن الحرب دون أن تفتشوها ،

فقد يقوم الإمبراطور الشرير بهريب العدالة على

سفينة من هنا ،

ثم نقوم نحن أيها الأقارب فندعوها (١)

ماركوس : أوليس من المؤلم يا بيليوس

أن يُرى عمك النيل وقد اختل عقله ؟ !

(١) We may go pipe for justice أى ندعوها فلا تستجيب ، والعبارة مستقاة من

النص الإنجيلي : « ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا » (متى : ١١ : ١٧)

بيليوس : لذلك نحرص يا سيدى كل الحرص

على أن نرعاها بعناية ، ليل نهار ،
وأن نسايره على هواه مترفين به غاية الرفق ،
إلى أن يجود علينا الزمان بعلاج عزز المنال (١)

٢٠ ماركوس : لم يعد هناك دواء ، يُجدى فى أحزانه ، يا أبناء العم ،
ولكن (٢) . .

أذهبوا فحالفوا القوط ، وشنوا حرب الانتقام ،
لتأخذوا فيها بالثأر لأنفسكم من روما الجاحدة ،
وتقتصوا بها من ساترين الخائن .

تيتوس : ببليوس ماذا ! ماذا أيها السادة ،
٢٥ ماذا ! هل صادفتم العدالة والتقييم بها ؟

بيليوس : لا يا مولاي ، غير أن « بلوتو » إله الجحيم يرد عليك
قائلا :

إنك إذا طلبت آلهة الانتقام من جحيمة ، جاءتك .
أما العدالة ، فهي جد مشغولة .

(١) beget some, careful remedy يبدو أن المعنى - كما شرحه بيلدون - هو أنهم
سيجدون بمرور الزمن وبفضل اهتمامهم وانتباههم علاجاً يشفيه من آلامه .
أى يكلف العناء والتعب فى سبيله -
(٢) والشرائح يجزمون بسقوط البيت « ولكن » وحدها لا تدل على الانتقال فى المعنى .

إنها - فيما نعتقد - مع الإله الأكبر في السماء أو في مكان آخر .

ولابد لك - إذا كنت تريدها - من أن تنتظر قليلا ،

٤٠

تيتوس : إنه ليسىءٌ إلى إذ يُعذبنى بالوعود وبالتسويق سألقى بنفسى في البحيرة المشتعلة ^(١) وأغوص في الأعماق ،

حتى أجراها من كعبها وأنتزعها من نهر آشرون ^(٢) .
ما نحن إلا أعشاب ضعيفة ، يا ماركوس ، ولسنا كشجر الأرز

لسنا عمالقة كالسيكلوب ^(٣) بقاماتها الضخمة ،

٤٥

حقاً إننا قد ولدنا أصحاء أقوياء البنية ،

ولكن المصائب ، حملتنا فوق ما تحتمل كواهلنا .
فإذا لم تكن هناك عدالة على الأرض أو في الجحيم ،
فلنتوسل إلى السماء ، ولنغر الآلهة ،

بأن ترسل العدالة على الأرض لتنتقم لمصائبنا .

٥٠

(١) البحيرة : المشتعلة بحيرة على باب الجحيم .

(٢) آشرون : نهر في الجحيم .

(٣) السيكلوب Cyclop : عمالقة مذكورة في «أوديسا» هومر في الكتاب التاسع منها .

هلم للعمل ، فإنك يا ماركوس رام ماهر ،

(يعطيه السهام)

خذ هذه لك ، أيها الإله الأكبر ، وهذه لأبولو ،

وتلك للمارس إله الحرب ، أى لى أنا ،

أما أنت يا بنى ، فخذ ، هذه لبلاس . وتلك

لمركورى ،

وهذه يا كايوس ، لساترن لا لساترنين .

٥٥

وجدير بملككم أن يصيب ولو ردى ضد الريح .

هلم يا بنى ، ولا تطلق السهام يا ماركوس حتى آمرك

بذلك .

فقد وفقت ، والله ، فيما كتبت ،

فما تركنا إلهاً لم نضرع إليه .

٦٠ ماركوس : صوبوا سهامكم كلها يا أبناء العم إلى البلاط ،

لنصيب الإمبراطور فى كبريائه .

تيتوس : والآن ، أطلقوا يا سادة .

(يطلقون السهام)

مرحى لوكيوس أحسنت

لقد أودعت هذه صدر « فيرجو » ^(١) العذراء

(١) Virgo مجموعة النجوم (دائرة فلكية) ومعنى الاسم العذراء .

يا بني ، فأرسل الثانية إلى بالاس .

٦٥ ماركوس : أما أنا يا مولاي ، فقد صوبتها أميالا فما وراء القمر (١)

ولاشك أن خطابك الآن بين يدي جوبتر .

تيتوس : بيليوس ، بيليوس ، ماذا فعلت ؟

(يفضحك)

انظر ، انظر ! لقد أصبت فتزعت من الثور قرنه (٢)

ماركوس : ذلك هو الصيد الحق يا مولاي ، فإن بيليوس عندما

أصاب الثور ، هاج ، فطوح الحمل نطحة

٧٠

أوقعت في البلاط قرني الخروف ،

ولن تظنه وجدهما غير الأسود وغير الإمبراطورة ،

فلما رأت ذلك الإمبراطورة ضحككت وقالت للأسود

« لا عليك الآن »

أن تقدمهما هدية إلى سيدك »

٧٥ تيتوس : حقاً لقد أصبحا له ، متع الله جلالته بهما

(يدخل مهرج معه سلة فيها حمامتان (٣))

(١) من الواضح أن ماركوس يساير تيتوس في جنونه .

(٢) الثور والحمل من الأبراج الفلكية ، والإشارة إلى القرون وإلى ماتتيرد من

معنى عدم الغيرة على العرض واضحة متكررة .

(٣) هذا المنظر حيث يدخل المهرج يبدو مقحماً إقحاماً وهو كنظر النهام والرسائل

قد قصد بهما أن يحفظا على النظارة عنف الحركة التي تليها وإن يكن المنظران لا يصلان إلى

مرتبة الجودة المطلوبة في المناظر المسلية . ونظر المهرج مشور كله .

أخبار ! أخبار من السماء ! وصل البريد يا ماركوس .
ما الأنباء ، أمعلك خطابات ؟

أو تنزل إلينا العدالة ؟ ماذا قال رب المشارق (١) ؟

المهرج : يقول رب المشارق ؟ ! إنه يقول إنه أنزلها بعد أن كان

نصها لأن الرجل لن يشق إلا الأسبوع القادم . ٨٠

تيتوس : إني أسألك ماذا قال جوبتر ، وب المشارق ؟

المهرج : آسف يا سيدى ، إني لا أعرف جوبتر هذا ولم

أشرب في حياتى كأساً معه قط .

تيتوس : ماذا أيها الوغد أو لست ساعى البريد .

٨٥ المهرج : أنا لا أسعى يا مولاي إلا بحمامتى ولا شىء غير

ذلك .

تيتوس : أو لم تأت من السماء ؟

المهرج : من السماء ؟ آسف يا سيدى ، إني لم أذهب إلى

هناك قط ، ألا فليحفظنى الإله من أن أساق إلى

السماء وأنا كما ترى ما زلت فى شرخ الشباب . ٩٠

إني ذاهب إلى محكمة الشعب (١) مع حمامتى ،

(١) قال تيتوس Jupiter وسعها المهرج Gibbet أى صانع المشارق . وآثرنا

الاحتفاظ إلى حد ما باللباس الصوق .

لنفض شجاراً، شجاراً نشب بين عمى ورجل
من رجال الإمبراطور.

- ماركوس : هذا يا سيدى خير من يرفع التماسك
٩٥ فأرسله بهذه الحمايم إلى الإمبراطور .
- تيتوس : قل لى ، ألاستطيع أن ترفع التماساً إلى الإمبراطور
وأن ترفعه فى خشوع كما ينبغي (٢) ؟
- المهرج : لا والله يا سيدى ، إننى لم أؤد صلاة فى خشوع
فى حياتى قط .
- ١٠٠ تيتوس : صه واقرب ، ولا تثر المشاكل بلاسبب .
احمل حمامتيك إلى الإمبراطور .
- وأقسم لك أنك ستنال جزاءك العادل على يديه .
ولكن قف ، تمهل ، خذ هذا المال أجراً ،
إعطونى قلماً وحبراً . .
- ١٠٥ وأنت ! أنتطوع إذن لرفع مظلمة .

(١) يلاحظ أن المهرج يسمى إلى العدالة ولكن بطريقته العملية ، بالرشوة .
(٢) الأبيات ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، فى هذه الأبيات تستعمل كلمتا graces, grace
والأولى تعنى حسن الأداء وتعنى الثانية الصلاة ولقد أضفنا كلمة خشوع ليتحقق شيء من
أثر التورية فى اللفظ .

المهرج

: نعم يا سيدى .

تيتوس

: خذ إذن ، هاك مظلمة . فإذا ما دخلت عليه فبادر
بالركوع ثم قبل قدميهوناوله حمامتيك ، وانتظر بعد ذلك مكافأتك .
احرص على أن تقوم بهذا فى شجاعة ، فسأكون
على مقربة منك .

١١٠ المهرج

: أوكد لك ، يا سيدى ، أنى سأفعل فدع هذا الأمر
إلى .

تيتوس

: اسمع ، هل معك سكين ، تعال أرنى إياها ،
يا ماركوس ، خذها ولفها بالالتماس ،
فلقد كتبته بأسلوب الضارع المتواضع .
وإذا سلمته للإمبراطور

فاطرق بابى لتخبرنى بما قال .

١١٥

المهرج

: الله معك يا سيدى ، وسأفعل ذلك .

تيتوس

: هلم يا ماركوس فلنذهب ، وأنت يا بيليوس ،
اتبعنى .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الرابع

أمام القصر - يدخل ساترنيوس وتامورا وديميتريوس وشيرون ومعهم جماعة أخرى من الأعيان وغيرهم ، ويحمل ساترنيوس في يده الأسبغ التي رماها تيتوس .

ساترنيوس : ما هذه الإهانات أيها السادة؟ هل رأيتم قبل اليوم

إمبراطوراً ، يُذَلَّ على هذا النحو في روما ،

ويتحدثه الناس ويشيرونه ، كما ترون ، لأنه حقق

المساواة أمام العدالة يُقابل بهذه الإهانة ؟

سادتي ، إنكم لتعرفون ، كما نعرف الآلهة ، جلت

قلوبها .

أنه على الرغم مما يلقيه مثيرو الشعب والفوضى ،

من أقوال مكررة في آذان الشعب ؛ لم يتخذ إجراء

واحد

لا يتفق كل الاتفاق مع القانون ضد العاصين .

ولدى أندرونيكوس الشيخ . ثم ما ذنبنا نحن ؟

إذا كانت أحزانه قد تكاثفت فحجبت عقله ؟

أهكذا يوجه إلينا اعتداءاته الانتقامية ؟

ونوبات جنونه ، وسورة غضبه . وهياج مرارته ؟

إنه يكتب الآن للسماء كي تقتص له :
فهذه رسالة للإله الأكبر ، وتلك لمركورى ،
وهذه لأبولو ، وتلك لإله الحرب ،
ألا ما أطفها من رسائل تطير محلقة فى شوارع
روما !
ماذا يمكن أن يكون هذا إن لم يكن تشهيراً بمجلس
الشيوخ ،

١٥

ونشراً للأكاذيب عن ظلمنا فى كل مكان ؟
أوليس هذا الجنون لطيفاً أيها السادة ،
كأنما يريد أن يقول ؛ إنه لا عدالة فى روما .
ولكن ، إن عشت ، فلن نجد فى هذا الجنون الذى
يدعيه

٢٠

ما يستتر وراءه ليبرر وقاحته ،
سيعرف هو وآله أن العدالة قائمة ،
تسير فى ركاب ساترين . وأنها إذا نامت ،
فسيقظها ساترين ، يقظة تستفزها ،
لتستأصل شأفة أقوى متآمر يعيش على وجه الأرض .
: مولاي الكريم ، حبيبي ساترين ،
سيد حياتي المسيطر على كل أفكارى ،

٢٥

تامورا

هدى نفسك وتحمل أخطاء تيتوس الشيخ
لأنها من فعل حزنه على ابنه الكريمين ،

٣٠

فقد أصابه فقدهما في الصميم وخلف الندوب في
قواده .

والأولى بك أن تواسيه في حاله التعسة ،

لأن تحاسبه على الحقير أو الخليل

من هذه الأخطاء في حقك ، (على حنة) نعم
وأول

بتمام ذات التدبير الحكيم أن تداهم جميعاً .

٣٥

ولقد أصبتك يا تيتوس في الصميم ،

فإذا ما سلبت الحياة نفسها ، وإذا ما كان هارون
حكيماً

فإننا نكون قد أمنا على كل شيء وغدت السفينة

راسية في المرفأ .

(يدخل المهرج)

ما وراءك أيها الرجل الطيب ؟ أو تريد أن تتحدث

إلينا ؟

١٠ المهرج : نعم والله ، إذا كنت أنت صاحبة الحلالة !

تامورا : أنا الإمبراطورة ، وهذا هو ، الإمبراطور ، جالس هناك .

المهرج : إنه هو من أريد ! أسعد الله ، والقديس ستيفن ^(١) ، مساءك . إني أحمل لك هنا ، خطاباً وحمامتين (يقرأ ساترين الخطاب)

ساترينوس : اغرب عن وجهي ، خذوه بعيداً واشنقوه في الحال .

٤٥ المهرج : ولكن كم ستدفعون لي ؟

تامورا : كفي أيها الشقي ، لا بد أن تشنق .

المهرج : أشنق ! ! يا سيدتي إذن لقد بلغت إلى نهاية طيبة

(يخرج الحراس)

ساترينوس : يا لهذه الإساءات المهينة التي لا تحتمل !

أو أصبر على هذا الإجرام البشع ؟

إني متأكد ممن تصدر هذه الألاعيب .

••

أو محتمل هذا ؟ لكأنما ولداه الخائن

اللذان حكم عليهما القانون بالموت ، لجرمة قتلها

أخى ،

(١) God and Saint Styphen دعاء شائع في أيام شكسبير وأغلب الظن أنه يتجه

به إلى النظارة حتى يأنفوا المهرج ويطربوا هذا التناقض التاريخي الملحوظ عند سيمون رجلا رومانياً يتعلق بكلامهم الدارج .

قد ذبحتهما أنا بتدبيرى ظلماً وعدواناً .

هلم ، حروا هذا الوغد من شعره إلى هنا ،

ولا ترعوا له حرمة سن أو مقام

٥٥

سأكون أنا جلادك على هذه السخرية المتطاولة ؛

أيها المحنون الحبيث الشقي ! لقد عاونتنى لأصل إلى

المجد

وأنت تأمل في قرارة نفسك أن تحكم روما وأن

تحكمنى معها .

(يدخل إيميليوس) .

إيميليوس : إلى السلاح أيها السادة ، فما كانت روما أحوج إليه

مما هي الآن !

٦٠

لقد جند القوط جيشاً مسلحاً

من جنود أشداء ، عازمين على الغزو والنهب

وهم زاحفون نحونا بقيادة

لوكيوس ، ابن أندرونيكوس الشيخ ؛

وهو يرعد منذراً بأنه سيأتي في انتقامه

بأبشع ما انتقم به كوربولانوس^(١) نفسه

٦٥

ساترنيوس : لوكيوس المغوار ، يقود القوط ؟ !

(١) Coriolanus قائد روماني من القرن الخامس قبل الميلاد .

أنباء ، يجمد الدم في عروقي من هولها ؛ فيتدلى
رأسي
كالزهور يثقلها الصقيع ، أو العشب اقتلعت الریح
وألفت به العواصف .

نعم قد حان دورنا لنأخذ نصيبنا من الأحران !
إنه هو الذى يحبه الشعب حباً جمّاً .

٧٠

ولكم سمعتم بأذنى ، وأنا متذكر فى زى الرجل العادى ،
يقولون ، إن الحكم بنى لوكيوس كان حكماً ظالماً .
وهم يتمنون أن يكون لوكيوس إمبراطورهم .

تامورا : لماذا تخاف ؟ أو ليست مدينتك منيعة !

٧٥ ساترينوس : نعم ، ولكن المواطنين يفضلون لوكيوس
وسيجرجون علىّ ويعصوننى ليساعده هو .

تامورا : أيها الملك ، لتكن أفكارك عظيمة تليق بعظمة
لقبك .

أحجب ضوء الشمس أن تطير الحشرات فى شعاعها ؟
إن النسر ليحتمل من الطيور الصغيرة أن تغنى
دون أن يهمه ما تريد بغنائها .

٨٠

لأنه موقن أن ظلاً من جناحيه ،

يستطيع أن يخرس أنغامها متى شاء أن يخرسها .
وهذا شأنك أنت مع الحمقى من الرومان ،
فظمئن إذن نفسك ، واعلم أيها الإمبراطور
أننى سأسحر أندرونيكوس الشيخ
بكلمات أكثر حلاوة وأشد خطراً
من الطعم على الأسماك و« البريسم » على قطيع
الغنم ،

٨٥

فتجرح الأولى من شص الطعم
وتمرض الأخرى من المرعى الشمسى .

ساترين : أو تظنه يشفع لنا عند ولده

تامورا : إذا توصلت إليه تامورا ، فعل .

فإننى أستطيع أن أستميل أذنه الواهية ، وأن أملأها
بمعسول الوعود ، بحيث لو كان قلبه
لا يخضع . وأذنه الواهنة لا تسمع ،

فإن أذنه وقلبه ، كليهما سيصبحان طوع أمرى .

(إلى إميليس) تقدم وكن سفيرنا !

انقل إليهم أن الإمبراطور يطلب مقابلة

لوكيوس المغوار ، وعين مكان اللقاء

٩٠

ولنلتق ، إذا لم يكن من الأمر بد ، في بيت أبيه

أندرونيكوس الشيخ .

١٠٠ ساترنيوس : أدّ يا إيميليوس ، هذه الرسالة في شرف ،

فإذا ما اشترط عليك رهائن لضمان سلامته ،

فسأله أن يطلب الضمان الذي يريد .

إيميليوس : سأقوم بما كلفتنى به خير قيام .

تامورا : والآن أمضى إلى ذلك الشيخ أندرونيكوس

أعجله بكل ما لدى من فن ؛

١٠٥

حتى أقنطع لوكيوس الجبار من زعامة القوط المحاربين .

والآن ، يا حبيبي الإمبراطور ، استعد بشرك كما

كنت ،

وادفن مخاوفك جميعها فيما دبرت من خطط .

ساترنيوس : اذهبي إذن ، عسى أن تنجح في استمالته . .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

سهول قرب روما - يدخل لوكيوس على رأس جيش من القوط معهم طبول وأعلام

لوكيوس : أيها المحاربون المحنكون ، أصدقائي الأعزاء ،
وصلتني من أهل روما المجيدة رسالة ؛
تكشف عن الكره الذي يكنونه لإمبراطورهم ،
والشوق الشديد الذي يشاقونه لرؤيتنا .
فيا أيها العظماء ، كونوا أكفأً لألقابكم الجليلة ،
أعزاء لا تصبرون على الضيم ،
وإذا كانت روما أوقعت بكم الضرر
فاجعلوها تغرم الغرم مضاعفاً .

القوطي الأول : أيها الفرع الشجاع النابت من دوحة أندرونيكوس
العظيم ،
هذا الذي كان اسمه يبعث فينا الرعب فأصبح الآن
ينشر بيننا الأسى .

إن كل واحد منكم قدمه من مآثر رفيعة ، وفعال مجيدة ،

قد جزته عليها روما الجاحدة احتقاراً مشيناً ظالماً .
استمد إذن شجاعتك منا فستبعك إلى حيث تقود ،
كسرب من النحل اللاذع ، في قيظ يوم صائف
حار ،

١٥

وقد أطلقه صاحبه على الحقول المزهرة :
حتى تنتقم لنفسك من تامورا اللعينة .

القوط

: إننا نؤيده جميعاً في كل ما قال .

لوكيوس

: وأنا بكل تواضع أشكره ، وأشكركم جميعاً .
ولكن من القادم علينا يقوده قوطي شديد ؟

٢٠ القوطي الثاني : لوكيوس الممجد ، لقد تخلفت عن عساكرنا ،

لأمن النظر في دير^(١) خرب .

وبينما كنت أطيل النظر باهتمام ،

في البناء الدارس ، سمعت فجأة

صرخة طفل تحت الجدار ،

فتوجهت ناحية الصوت وسرعان ما سمعت ،

٢٥

صوتاً يناغي الطفل الباكي بهذا الكلام :

« اهدأ ، أيها الأسمر الصغير ، فلي فيك النصف ،

(١) دير : الخطأ التاريخي واضح في استعمال كلمة « الدير » .

ولأملك النصف ،

ولو أن لونك لم يفضح حقيقة من تنتسب إليه ،
أى لو أن الطبيعة اقتصرت على أن أورثتك ملامح
أملك ،

لأمكنك بالعين أن تصبح إمبراطوراً .
فإذا كان الثور والبقرة كلاهما فى بياض اللبن ،
فن المستحيل أن يلدا عجلا فى سواد الفحم .
اسكت يا لعين . . اسكت . . هكذا كان يسخط
على الطفل .

٣٠

ويقول « سأحملك إلى قوطى أثق به ،

ومتى عرف أنك ابن الإمبراطورة

أعزك وأحسن ، من أجل أملك ، رعايتك » .

عندئذ سللت سلاحى وهجمت عليه .

فأخذته على حين غرة وأحضرتة إلى هنا .

لترى فى الرجل رأيك .

٣٥

: أيها القوطى الحيد ، هذا هو الشيطان المجسد ،

إنه هو الذى سلب أندرونيكوس يده الطاهرة ،

إنه هو قرة عيني إمبراطورتك ،

وهذا الطفل هو ثمرة شهوتها المتأججة .

٤٠ لوكيوس

قل لى ، أيها العبد الزائع العين (١) ، أين كنت
تريد أن تحمل

٤٥

هذه الصورة المصغرة من وجهك الشيطان ؟
لم لا تتكلم ؟ ماذا ؟ هل أصابك صمم ؟ ألا تتكلم ؟
أيها الجند ، على بحبل ، وعلقوه على هذه الشجرة ،
وإلى جانبه ثمرة ما زنى .

: إنه ليشبه أباه شها لا يمكن أن ينبيء بخير .

٥٠

اشتقوا الطفل أولاً ، حتى يراه وهو يعانى سكرات
الموت ،

فهذا منظر يصيب قلب الأب فى الصميم .
على بسلم !

(يحضرون السلم ويجبرون هارون على صعوده)

هارون

: أنقذ الطفل ، يا لوكيوس ،

واحمله عنى إلى الإمبراطورة ،

٥٥

إنك إن فعلت ، أطلعتك على أمور غريبة ،
تفعلك أخبارها نفعا عظيماً .

فإذا لم تفعل ، فليكن ما يكون !

(١) Walleyed : زيادة فى بياض العين تصيب الخيل من مرض .

إني لن أقول شيئاً إلا قولتي « ألا فليترل الانتقام بكم جميعاً » .

- لوكيوس : تكلم ، فإن سرتني ما تقول
عاش ابنك ؛ وأخذت على عاتقي أن أرحاه . ٦٠
- هارون : إذا سرّك؟! إني أوكد لك يا لوكيوس ،
أن ما سأقوله سيؤلم قلبك .
ذلك أني سأتكلم عن القتل والاغتصاب والمجازر ،
فعال سود في سواد الليل وآثام شنيعة ،
ومؤامرات للشر وللخيانة وللمنكر ، ٦٥
أخبارها تفجع السمع ، وارتكابها يثير الشفقة على
ضحاياها ،
غير أن هذا كله سينطوي خبره بموتى ،
إلا إذا تعهدت لي بأن طفلي سيعيش .
- لوكيوس : هات ما عندك ، لقد قلتُ ، إن طفلك سيعيش
هارون ٧٠ : فلتقسم على هذا ، فإذا أقسمت بدأت .
لوكيوس : وبمن تريدني أن أقسم وأنت لا تؤمن بإله ؟
فإذا سلمت بأنك لا تؤمن بإله فكيف تؤمن بقداسة
قسم .
هارون : وماذا لو أنني لا أؤمن بشيء ! إني حقاً لا أؤمن ،

ولكننى أعلم أنك ديتن
 وأن فى قلبك شيئاً اسمه الضمير
 وغير ذلك من عشرات الخرافات والعبادات .
 التى رأيتك تقوم بفروضها فى دقة ،
 ولهذا ألح عليك فى أن تقسم ، (منفرداً) ذلك أنى
 واثق
 من أن الأحق قد يتخذ من عصاه التى يلهو بها ربنا
 ثم يرعى يميناً يقسم فيها بربه هذا ،
 لذلك سأرغمه على أن يقسم ، (بصوت عال)
 لا بد من أن تقسم

٨٠

ياهلك ، أياً كان هذا الإله
 الذى تعبده وتقده ،
 على أنك ستحمى طفلى وترعاه وتنشئه
 وإلا ما أطلعتك على شىء .

٨٥

لوكيوس : أقسم بالإله الذى أعبد ، أن سأفعل .
 هارون : إذن ، اعلم أولاً ، أننى قد أولدت الإمبراطورة إياه .
 لوكيوس : يا للمرأة التى لا تشبع لها شهوة .
 هارون : صه ، إن هذا عمل من أعمال البر يا لوكيوس
 إذا قورن بما ستسمعه الآن منى .

٩٠

إن ولديها هما اللذان قتلا باسيانوس
وهما اللذان قطعاً لسان أختك، وهما اللذان اعتديا عليها،
ثم بترأ يديها وشذباها^(١) كما رأيت .

لوكيوس : أيها الشرير البغيض ، أو تسمى هذا تشديباً ؟
٩٥ هارون : لم لا ، لقد غسلت وقطعت ثم شذبت ،
وكان هذا لهواً ممتعاً لمن قاما به .

لوكيوس : إنهما وغدان ، همجيان ، بل وحشان ضاريان مثلك .
هارون : هذا صحيح ، فلقد كنت مرشدهما الذى علمهما هذا ،
غير أن ما فى نفوسهما من الفجور هو مما ورثاه عن
أمهما ،

١٠٠ تلك الأم التى تربح دائماً كما تربح الورقة المعروفة
فى لعبة الورق ؛
أما الأفكار الدامية الوحشية ، فلقد تعلموها عنى
أنا فيما أظن ،

فأنا كلب شجاع ثابت مقدام كالكلب الذى ينازل الثور .
وهاكم أعمالى فلتشهد هى على علو كعبى .
إنى أنا الذى استدرج أخويك حتى الحفرة الخادعة
حيث كانت جثة باسيانوس الميت راقدة .

١٠٥

(١) يشير بيلتون إلى الكلمة « شذباها » معنى خفياً قبيحاً .

وأنا الذى كتبت الرسالة التى وجدها أبوك ،
وأنا الذى أخفى الذهب الذى جاء ذكره فى الرسالة ،
متآمراً فى هذا كله مع الملكة ولديها .

نعم ؛ فهل حدث شئٌ يفجر حشراتك
إلا وفيه من شرى أثر ؟ !

١١٠

غررت بأبيك حتى سلبته يده ،
فلما أخذتها منه انتحيت جانباً
وكاد قلبي يتصدع من فرط الضحك على غفلته .
ثم تلصصت عليه من فتحة فى الحائط ،

لأراه حين تسلم رأسى ولديه فى مقابل يده ،
ولما شاهدت دموعه ، ضحكك من كل قلبي
حتى جرى الدمع من عيني كليهما ، كما جرى
من عينه .

١١٥

ولما قصصت على الإمبراطورة خبر ما لهُوت به ،
كاد يغشى عليها من الضحك على قصتي ،
ومنحتني على هذه الأخبار عشرين من القبل

١٢٠

القوطى الأول : ما هذا ، أتقول هذا كله دون أن تخجل ؟ !
هارون : بلى إني لأخجل ، ولكن كما يخجل الشيطان

أو الكلب الأسود (١) فيما يقولون .

لوكيوس

: أولا تندم على هذه الآثام الشنيعة ؟

١٢٥ هارون

: نعم أندم ، لأنني لم آت ألفاً غيرها من الآثام (٢) .

بل إني لألعن الأيام ، وإن تكن

قليلة تلك التي تحل بها لعنتي ،

والتي مرت دون أن أرتكب فيها شراً منكراً .

كأن أقتل رجلاً ، أو أدبر له مقتله ،

أو أغتصب فتاة أو أرسم الخطة لاغتصابها ،

١٣٠

أو أن أتهم بريئاً أو أقسم زوراً على براءتي ،

أو أن أثير عداوة مميتة بين صديقين ،

أو أجعل أغنام الفقراء تلقى بنفسها إلى التهلكة ،

أو أشعل النار بالليل في الأجران وأعواد الحطب ،

ثم أدعو أصحابها ليطفئوها بدموعهم .

١٣٥

كم نبشت القبور على الموتى ،

ونصبت أجسادهم على أبواب الأعراء من أصدقائهم ؛

(١) يقول المثل : to blush like a black dog والكلب الأسود صورة يتقمصها

الشیطان .

(٢) في هذا الجزء ينزل هارون إلى مرتبة الشرير المرحى العادي كما نجده عند «مارلو»

(ييلدون)

وخاصة في «يهودي مالطة»

- بعد أن كادوا ينسون أحزانهم ،
وقد جئت إلى جلودهم الناشفة وكأنها لحاء الشعر ،
فحفرت عليها بسكينى حروفاً كبيرة تقول : ١٤٠
« إن كنت مت ، فلا تركوا حزنكم على يموت .
أف ! كم ارتكبت آلاف الفظائع والكبائر ،
وأنا مطمئن راض هادئ وكأنما أقتل ذبابة .
وكل ما يحزننى حزناً حقيقياً الآن
أننى لم أعد أستطيع ارتكاب عشرات الآلاف غيرها . ١٤٥
- لوكيوس : أنزلوا هذا الشيطان إنه يجب ألا يموت ،
هذه الميته العذبة ، التى يشق فيها لموت مرة واحدة .
هارون : يا ليتنى كنت شيطانا ، إذا كان حقاً هناك شياطين ،
لأعيش وأحترق خالداً فى النار ،
حتى ألقاك يوماً فى الجحيم ، ١٥٠
لا لشيء ، إلا لأعذبك بلسانى المر .
- لوكيوس : أيها السادة ، أخرسوه لا تدعوه يتكلم بعد هذا .
(يدخل قوطى)
القوطى : مولاي ، رسول من روما ،
يطلب الإذن بالمثل فى حضرتك
١٥٥ لوكيوس : دعه يذن منا .
(يدخل إيميليس)

إيميلوس ! مرحباً ! ما أخبار روما .

إيميلوس : مولاي لوكيوس ، ويا أمراء القوط ،

إن الإمبراطور الروماني يحييكم جميعاً بلساني ،

ولما فهم أنكم تتهيأون للحرب .

١٦٠

طلب الاجتماع بكم في بيت أبيك

وهو مستعد لأن تطالبوه بأية ضمانات .

ليقدمها لكم مباشرة .

القوطى الأول : ماذا يرى قائدنا

لوكيوس : فليقدم الإمبراطور يا إيميلوس ما تعهد به

لأبي وعمي ماركوس .

فلسوف نأثي إليكم . إلى الأمام .

١٦٥

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثاني

أمام منزل تيتوس - تدخل تامورا وشيرون متكررين

تامورا : هكذا إذن ، وفي ثياب كثيفة غريبة ^(١) ،
ألقى أندرونيكوس ،
لأفهمه أننى إلهة الانتقام ، قد جئته من العالم
السفلى

لأتحالف معه ونثأر معاً لمصائبه الفظيعة .
فلاأقرعن عليه باب مكتبه ، حيث يقولون إنه
اعتكف ،
يقلب الفكر بين خطط غريبة لانتقام رهيب .
سأقول له ، إن آلهة الانتقام جاءت لتتحالف معه .
ولتنزل الخراب بأعدائه .

(يطرق الباب)

(يظهر تيتوس مطلاً من أعلى)

تيتوس : منذا الذى يعكر على صفو تأملاتى ؟

(١) يعلق ييلدون على هذا الجزء قائلاً إن الحيلة التى لجأت إليها تامورا لا تتفق وذكاها
الراجح فن غير المتوقع أن نتوهم أن تخدع تيتوس بمثل هذه الحيلة .

أهذه حيلتكم لأفتح لكم الباب ؟
 فتطير من رأسى كل قرارأتى الخطيرة
 ويصبح جهدى كله بلا جدوى ؟
 إنكم مخدوعون ، مما انتويت فعله ،
 قد كتبته هنا ، انظروا إليه فى أسطره الدامية ،
 ولا بد أن أنفذ كل ما كتبت .

تامورا : تيتوس إنى جئت لأتحدث إليك .
 تيتوس : لا ، ولا كلمة . فأنى لى أن أزين كلامى وأقويه
 وليست لى يد أشير بها فأقع أو آمر بالتنفيذ .
 إنك فى هذا تفوقينى . فأليك عنى .
 ٢٠ تامورا : لو عرفتنى لرغبت فى التحدث إلى .
 تيتوس : إبنى أعرفك كل المعرفة ، فلست مجنوننا ،
 ألا فلتشهد الذراع البتراء البائسة وهذه الخطوط
 الدامية ،

وهذه التجاعيد التى خطها الحزن والهم ،
 بل فليشهد النهار الشاق والليل الثقيل ،
 وليشهد كل ما أنا فيه من حزن ، على أنى أعرفك
 كل المعرفة .

فأنت إمبراطورتنا المتغطرة ، تامورا العاتية ،

أو لم تأت في طلب يدي الأخرى ؟

تامورا : أعلم أيها البائس الحزين أنى لست تامورا ،

إنها هي عدوتك أما أنا فصديقتك ،

إننى إلهة الانتقام أرسلت إليك من ملكوت الجحيم ، ٣٠

لتهدئ النسر الضارى الذى ينهش فؤادك (١) ،
بأن تنزل الانتقام الشديد بأعدائك .

انزل ورحب بنور هذه الدنيا ،

وشاورنى فى القتل والموت ،

فما من كهف سحيق . أو مكان خفى ، ٣٥

وما من مهمة واسع أو واد بهيم ،

يستطيع القاتل السفاك أو المغتصب البغيض ،

أن يأوى إليه من الخوف ، إلا استطعت أن اكشف

مكانه

ثم ألقى فى أذنه باسمى الرهيب :

« الانتقام » فيرتجف كل مجرم زنيم . ٤٠

تيتوس : أأنت إلهة الانتقام . أرسلت إلى

لتكونى عذاباً مسلطاً على أعدائى ؟

(١) يبدو أن الصورة مستعارة من قصة بروميثيوس .

- ٢٢ : نعم ، أنا هي ، فأُنزل إلىَّ ورحب بي .
 تيتوس : أو تسدين إلى معروفاً قبل أن أنزل إليك ؟
 ٤٥ هنا على جانبك يقف القاتل والغاصب ،
 فاثبتى لى أنك إلهة الانتقام حقاً ،
 بأن تطعنيهما أو تقطعي جسدتهما بعجلات عربتك .
 وسأهبط بعد ذاك إليك فأقود لك العربة ،
 وأنطلق معك بها ، ندور حول العالم ،
 ٥٠ مُدينا بجوادين كريمين في سواد الفحم ،
 لينطلقا خفيفين بعربتك المنتقمة ،
 ليلحقا بالقتلة في كهوفهم المريبة الأثيمة ،
 حتى إذا ما أثقلت عربتك برءوسهم
 هبطت منها ، وتقدمت عجالاتها ،
 ٥٥ أجرى طوال النهار بين يديك وكأنتي^(١) السائس
 الخاضع .
 وأصاحبك من مطلع إله الشمس^(٢) في المشرق ،
 حتى مهبطه في البحر ،

(١) كان للأثرياء في أيام شكسبير سوايس يعدون أمام عرباتهم ويفسحون لها الطريق.

(٢) هيريون هو إله الشمس ، وهو أقدم من أبلو . استعمال هذا الاسم للشمس يدل كما يرى « بيلدون » على معرفة بالأساطير الإغريقية إلى جانب الأساطير الرومانية .

وسأظل أقوم بهذا العمل الشاق يوماً بعد يوم ،
على شرط أن تقتلى فى الحال ، هذين : القاتل
والغاصب

٦٠ تامورا : إنهما رسولاي جاءا معى ،

تيتوس : أحق أنهما رسولاك ؟ وما اسماهما ؟

تامورا : القاتل ، والغاصب ، سميا كذلك

لأنهما يوقعان الانتقام بهذا الصنف من الآثمين .

تيتوس : يا إلهى ، لكم يشبهان ولدى الإمبراطورة

ولكم تشبهين أنت الإمبراطورة نفسها ، لكننا نحن

أهل هذه الأرض

عيوننا بائسة ، مجنونة . تضللنا

يا إلهة الانتقام العذب ، سأهبط إليك حالا ،

فإذا أرضاك أن تحتضنك ذراع واحدة ،

فسأضملك بها سريعاً .

(يغتنق من أعلى)

٧٠ تامورا : لقد وصلنا معه إلى اتفاق يلائم جنونه .

وكل ما سأخترق لأغذى به هوى عقله المريض

فعليكم — مهما يكن ما أختلق — أن تؤمنوا عليه

وتؤيدوه بأقوالكم .

إنه يؤمن الآن إيماناً جازماً أنني إلهة الانتقام .

ولما كان من السهل إقناعه في خيله

فسأقنعه بأن يرسل في طلب ابنه لوكيوس .

٧٥

وبينما أكون قد ملكت قياده أثناء المأدبة ،

فسأهتدى بداهة إلى حيلة مأكرة ،

تفرق القوط الحمقى وتشتت شملهم ،

أو تقلبهم — على الأقل — إلى أعداء له .

انظروا ، ها هو ذا قادم . وسأواصل دوري

٨٠

(يدخل تيتوس)

تيتوس : لكم شقيت في انتظارك ،

فرحجاً بك في بيتي الكئيب أيتها الإلهة المنتقمة المهيبة ،

ومرحباً بكما أيضاً ، أيها القاتل والغاصب .

لكم تشبهون الإمبراطورة وولديها ،

وكم يكتمل عقدكم لو كان معكم عبد أسود .

٨٥

ألم يستطع الحميم كله أن يمدكم بشيطان مثله ،

فإني لأعرف جيداً ، أن الإمبراطورة لا تكاد تخطو

خطوة (١)

(١) Wags : تخطو خطوة من معانيها تلمب بذيلها . والمقصود التلميح إلى سيرة

تامورا الآمة .

إلا وفي صحبتها عبد أسود ،
 لكان الأجلدركم أن تصحبوا معكم شيطاناً كهذا .
 ولكن ما لنا ولهذا . مرحباً بكم على أية حال ؟ والآن
 ماذا نفعل ؟

تامورا : وماذا تريدنا أنت أن نفعل يا أندرونيكوس ؟
 ديمتريوس : أرى قاتلاً فأتكفل لك به .
 شيرون : ودلني على وغد مغتصب ،
 فأنا مرسل للانتقام لك منه
 ٩٥ تامورا : أرشدني إلى من أساءوا إليك ، فلو كانوا ألفاً ،
 لانتقم لك منهم جميعاً .
 تيتوس : هيا ، فلتبحثوا في شوارع روما المملوءة بالإثم .
 فإذا وجدت أيها القاتل الكريم رجلاً يشبهك كل
 الشبه

فأطعنه لأنه قاتل .
 ولتذهب أنت معه أيها الغاصب الكريم ،
 فإذا حدث أنك وجدت آخر يشبهك أنت
 فأطعنه لأنه مغتصب
 وأنت ، اذهبي معهما ، إلى بلاط الإمبراطور ،
 فهناك ملكة يقوم على خدمتها عبد أسود .

إنه لمن السهل عليك أن تعرفها لأن صفاتها هي صفاتك ،

١٠٥

فهى تشبهك كل الشبه من قمة الرأس إلى أخمص القدم .

وإني لأضرع إليكم ، أن تذيبوهم جميعاً الموت القاسى ،
فلقد كانوا قساةً علىّ وعلى أهلى

تامورا : لقد أحسنت فيما بينت لنا من أوامرك وستفعل كما قلت

١١٠

ولكن يا أندرونيكوس الطيب ، أسمح
بأن ترسل فى طلب لوكيوس ، ابنك الحمام الشجاع
الذى يقود صوب روما جيشاً من القوط المحاربين ،
وتسأله أن يحضر وليمة فى منزلك .

فإذا ما جاء ، وفى إبان احتفالك الوقور ،

فسأنى بالإمبراطورة وبابنيها .

١١٥

بل بالإمبراطور نفسه ، وبجميع أعدائك ،
ليضرعوا إليك ، ويركعوا طالبين رحمتك ،
فتشفى صدرك الموغور منهم .

ما رأيك فى هذه الحيلة يا أندرونيكوس ؟

ماركوس ، أخى إنه تيتوس الحزين يناديك :

١٢٠ تيتوس

(يدخل ماركوس)

ماركوس أيها العزيز ، اذهب إلى ابن أخيك لوكيوس ،
فسأل عنه بين القوط ،
واطلب إليه أن يرجع إلى وأن يصحب معه
نفرًا من كبار أمراء القوط .

وسله أن يدع جنوده معسكرة حيث هي الآن ،
قل له إن الإمبراطور ، والإمبراطورة
سيحضران إلى حفل في بيتي ، وعليه أن يحضر
معهما الحفل .
افعل ذلك إن كنت تحبني ، ودعه هو الآخر
يفعل ،

إن كان يرعى حياة أبيه الشيخ .

١٣٠ ماركوس : سأفعل وأعود سريعاً (يخرج)

تامورا : أما أنا فسأتوجه لتدبير أمرك

وسأخذ رسولاً معي

تيتوس : لا ، لا ، دعي الغاصب والقاتل معي ،

وإلا دعوت أخى ليرجع

واعتمدت على لوكيوس وحده في الانتقام .

١٣٥

تامورا (لوليها على انفراد) : ما رأيكما يا بني ، أنظلان معه ،

حتى أذهب فأقص على الإمبراطور

كيف أحكمت تنفيذ ما دبرنا من حيلة ؟
سايراه على جنونه و لا يناه ، وتحدثنا بلطف إليه ،
وامكثا معه حتى أعود .

١٤٠

تيتوس (علائفرد) : إني أعرفهم جميعاً ، وإن حسبوني مجنوناً ،
وسأغلبهم على أمرهم بنفس حيلهم .
إنهم لزوج لعين من كلاب الجحيم ومعهم أمهم !!
ديمتر يوس : انصرفي ، إن شئت يا سيدتي واتركينا .

١٤٥ تامورا : إذن وداعاً يا أندرونيكوس ، فستمضي إلهة الانتقام
الآن ،

لتضع الخطة التي تفصح بها أعداءك .
تيتوس : إني على يقين أنك ستفعلين . فوداعاً يا « انتقامي »
(تخرج تامورا) الحبيب .

شيريون : قل لنا أيها السيد الشيخ ، ماذا تريدنا أن نفعل .
١٥٠ تيتوس : هيه ، عندي من العمل ما يكفيكما !

ببليوس ، تعال هنا ، كايوس ، وأنت يا فالتين
(يدخل ببليوس وآخرون)

ببليوس : أمرك ؟ !

تيتوس : أتعرفون من هذان ؟

ببليوس : ولدا الإمبراطورة

فيما أعتقد ، شيرون وديمتر يوس .

١٥٥ تيتوس : ويحك يا بيليوس ويحك ، إنك لتخدوع إلى أبعد حد :
إن أحدهما هو « القاتل » واسم الآخر « الغاصب » .
قيدهما إذن يا بيليوس الطيب ،

وأنت يا كايوس ويا فالنتين ، ألقيا القبض عليهما .
أولم تسمعاني كثيراً أتمنى مجيء مثل هذه الساعة ،
وها هي ذى تسنح لي ، قيدوهما إذن قيداً وثيقاً ،
١٦٠ واكنما أنفاسهما إذا حاولا الصراخ .

(يخرج - ويلقى بيليوس معه القبض على شيرون وديمتر يوس)

شيرون : كفوا أيها الأوغاد ، إننا ولدا الإمبراطورة
بيليوس : نحن لهذا ننفذ ما أمرنا به .

أحكموا كنتم أنفاسهما ولا تدعوها ينطقان حرفاً ؛
أو أحكمتم وثاقهما ؟ أسرعوا بتقييدهما .
١٦٥

(يدخل تيتوس ومعه لافينيا وقد حملت طستاً صغيراً في حين حمل هو سكيناً)

تيتوس : تعالي يا لافينيا ، تعالي ، انظري عدويك مقيدين

اكنموا أيها السادة أنفاسهما ولا تدعوها يكلماني ،
ولكن أتيحا لهما أن يسمعا ما سأقول من قول مروع .

أيها الوجودان ، شيرون وديمتر يوس ،

هنا ، أمامكما النبع الذي لوثماه بالوحل ،
١٧٠

والصيف الجميل الذى أزلتما به قرّ شتائكما البائس .
لقد قتلتما زوجها ، وكانت هذه الجريمة البشعة
سبباً فى أن يحكم على اثنين من إخوتها بالموت .
ويدى هذه بترت ، وجعلتما من بترها هذا ملحة
فكهة ،

١٧٥

ويدها الحميلتان ، ولسانها ، وما هو أعز
وأعلى من الأيدى ومن اللسان ، عفاها الطاهر ،
انتبهكما واغتصبتماه ، أيها اللائنان المتوحشان .
ماذا عسى أن تقولوا لو سمحت لكما بالكلام ؟ !
لن تستطيعا من فرط عاركما ، أيها الشريران أن تطلبا
الرحمة .

١٨٠

أنصتا يا أيها اللعينان ! لو تعلمان كيف سأمثل
بكما

إن يدى هذه الواحدة قد بقيت لى لتقطع رقابكما ،
وستمسك لافينيا بذراعيها المبتورتين
طستاً تجمع فيه دمكما الأثيم .

إنكما تعلمان أن أمكما ستحضر وليمة فى بيتى ،
وأنها تدعو نفسها إلهة الانتقام ، وأنها تحسبني
مجنوناً ؛

١٨٥

اسمعا إذن أيها الشريران! سأدق عظامكما دقاً حتى

تصبح دقيقتاً ،

ومن الدقيق ومن دمكما سأعجن عجينةً ،

وأأخذ من العجين غطاءً للكعك ؛

ليزين الكعكتين اللتين سأصنعهما من رأسيكما

الدنشين .

عندئذ سأدعو تلكما الفاجرة ، أمكما النجسة ،

لثلاثهم في جوفها ، كالأرض ، ما أخرجته .

فهذا هو الحفل الذي دعوتها إليه ؛

وتلكما هي المأدبة التي ستأكل منها حتى تعثرها

التخمة .

لقد أسأتما إلى ابنتي بشر مما أسىء به إلى « فيلوميل » (١)

وسأنتقم لها انتقاماً شراً من انتقام « بروجنى » .

هلم الآن هات رقبتيهما وتعالى يا لافينيا

(يقطع رقبتيهما)

لتلتقى الدم ، وعندما يموتان

دعنى أدق عظامهما حتى تصبح دقيقتاً ناعماً ،

١٩٠

١٩٥

(١) فيلوميل وبروجنى . انظر الهامش على البيت ٤٦ من المنظر الثالث في الفصل

ثم أخلطه بهذا الشراب الكريه ،
 وأنضح رأسيهما الشقيين وأعطيهما بهذا العجين .
 هيا ، هيا ، وليجتهد كل منكم
 في أن يجعل هذه الوليمة كما أريدها أن تكون ،
 في الصرامة والدماء ، أوفر نصيباً من وليمة السنطور (١)
 والآن ، أدخلوهما ، فسأقوم بدور الطباخ
 وأعدهما حتى تأتى أمهما .
 (يخرجون وهم يحملون الجثث)

(١) وليمة السنطور - كانت عقب حرب أهل السنطور ولايتى لزواج
 « بيروثوس » من « هيبوداميه » . انظر شعر أوفيد Ovid في قصيدته Metamorphoses وهي
 خمسة عشر كتاباً . الكتاب الثانى عشر ، البيت ٢١٠ وما بعده .

الفصل الخامس

المنظر الثالث

فناء منزل تيتوس ، وقد مدت فيه المائدة - يدخل لوكيوس وماركوس وجماعة من القوط
ومعهم هارون أسيراً .

- لوكيوس : عمى العزيز ، ما دام أبى يرى
أن أعود إلى روما فأنا أقبل العودة .
- القوطى الأول : وليست إرادتنا إلا ما أردتم ، ولتجر المقادير بما تشاء .
- لوكيوس : عمى العزيز ، خذ معك هذا العبد الأسود المتوحش ،
هذا النمر المفترس والشيطان اللعين ،
ولا تدعه يذوق طعاماً ، بل قيده
حتى نواجه به الإمبراطورة ؛
ليشهد على فعالها الدنيئة .
- واحرص على أن يكون كمين جيشنا الصديق حصيناً .
فأنا أخشى ألا يضمّر لنا الإمبراطور خيراً .
- ١٠ هارون : هناك شيطان يهمس باللعنات فى أذنى ،
ويستحنى على أن أجرى على لسانى
السم الزعاف ، الذى يفيض به قلبى الثائر .
- لوكيوس : اغرب عن وجهى أيها الكلب المتوحش ، أيها العبد

النجس ،

١٥

ساعدوا عمي ، أيها السادة ، على أن يجره إلى سجنه .

(يخرج القوط معهم هارون - ثم تدق طبول)

وهذه طبول تدل على أن الإمبراطور قريب .

(يدخل ساترنيوس وقامورا ومعهما أيميلويس وجماعة من الشيوخ والزعماء وغيرهم)

ساترنيوس : هناك في الفلك إذن أكثر من شمس واحدة .

لوكيوس : وماذا يفيدك أن تسمى نفسك شمساً ؟

ماركوس : يا إمبراطور روما ، وأنت يا بن أخي ، فضوا هذا

الجدل .

فلا بد من أن تناقش مثل هذه الخلافات في هدوء .

٢٠

وهاكم تيتوس اللبق قد أعدّ لكما حفلاً ،

أقامه تحقيقاً لغاية نبيلة ،

وحرصاً على السلام والمحبة والوئام ؛ وعلى صالح روما ؛

هلم إذن لو سمحتم ، تقدموا وخذوا أما كنكم .

٢٥ ساترنيوس : سنفعل يا ماركوس

(صوت أبواق - يدخل تيتوس وقد ارتدى ملابس طباطخ ، وفي صحبته لافينيا وعلى

وجهها قناع ومعهما لوكيوس الصنير وآخرون ، يضع تيتوس الصحون على المائدة)

تيتوس : مرحباً مولاي العظيم ، ومولاتي المهيبة ،

مرحباً بالقوط المغاوير ، مرحباً يا لوكيوس ،

مرحباً بكم جميعاً . أن يكرن الزاد قليلا
فإنه سيكنى بطونكم ؛ تفضلوا فكلوا منه .

٣٠ ساترنيوس : لم ترتدى هذه الملابس يا أندرونيكوس ؟
تيتوس : حرصاً منى على أن يكون كل شىء معداً كما يجب ؛
ليليق بالاحتفال بجلالتكم وبجلالته .

تامورا : إننا نقدر لك هذا يا أندرونيكوس الطيب ،
تيتوس : وسيزيد تقديرى يا مولاتى ، إذا عرفت ما فى نفسى .

أفتنى فى هذا الأمر يا مولاي الإمبراطور ؟ ٣٥

هل أحسن فرجينوس^(١) المتهور صنعا
عندما ذبح ابنته يمينه ،

لأنها اغتصبت ودنست وانتك عرضها .

ساترنيوس : نعم لقد أحسن يا أندرونيكوس !

٤٠ تيتوس : وما سبب حكمك هذا يا مولاي العظيم ؟

ساترنيوس : السبب أنه يجب ألا تعيش الفتاة بعد فضيحتها ،

فسيظل مرآها يحدد الأحزان فى نفس أبها .

تيتوس : إنه لسبب وجيه ، قوى ، مقنع !

(١) يروى أن فرجينوس قتل ابنته خوفاً أن ينتك عرضها . أما تيتوس فقد انتك
عرض ابنته لافينيا فعلا . واختلاف الحالين يجعل المقارنة صعبة ، مما دعا إلى كثير من الجدل
بين الشراح .

إنه لقياس يقاس عليه ؛ وسابقة تحتذى ؛ ومثال

يجب أن يتبع .

وعلىّ أنا ، أنا الشقى ، أن أحتذى المثل وأنفذه .

٤٥

لا فينيا ، موتى ، موتى ، لموت عارك معك ،

ومع عارك فليمت حزن أبليك .

(يقتل لا فينيا)

ساترنيوس : أيها المتوحش الشاذ ، ماذا أتيت ؟ !

تيتوس : قتلها ، قتل من أعماني الدمع الذى ذرفته بسببها ،

إننى شقى ، أشقى من فرجينوس ^(١) ؛

٥٠

ولدى من المبررات أكثر مما له ألف مرة ،

وكلها تدفعنى لارتكاب هذا الشر الفظيع ، وقد تم

الآن ونفذ .

ساترنيوس : ماذا ؟ أو قد اغتصببت ؟ نبشنا من فعل هذا ؟

تيتوس : تكرم بالأكل ! ثم فلتكرم جلالتها بتناول الطعام .

: لم قتل ابنتك ؟

٥٥ تامورا

تيتوس : أنا ؟ إنى لم أقتلها بل قتلها شيرون وديمترىوس .

إنهما هما اللذان اغتصبهاها وقطعا لسانها ،

وهما اللذان فعلا بها كل هذا الشر .

ساترينوس : اذهب فأحضرهما إلينا حالا .

٦٠ تيتوس : ولم ، لإنهما هنا ، عجيباً في هذه الفطيرة ،

وقد أكلت أمهما منهما في رشاقة ؛

لقد أكلت من اللحم الذى عُتيت بربيته .

هذه حقيقة ، حقيقة ، ولتشهد حدة سكينى على هذا .

(يقتل تامورا)

ساترينوس : أيها الشقى المحنون ، مُت جَزَاء هذه الفعلة الشنعاء

(يقتل تيتوس)

٦٥ لوكيوس : أو تطيق عينا الابن أن تريا دم أبيه يراق ؟

كيل ، بكيل ، والقتل للقاتل .

(يقتل ساترينوس ، ضجة كبيرة . يتفرق القوم من اضطرابهم)

ثم يصعد ماركوس ولوكيوس وأشياعهم إلى الشرفة)

ماركوس : أيها القوم ذوو الوجوه الجادة العابسة ، يا أهل روما

وأبناءها ،

إن هذه الضجة قد فرقتم ، وكأنكم سرب من القطا

شتتته الرياح والأعاصير الهوج العاتية .

اسمعوا لى ، أن أعلمكم كيف تجمعون من جديد ،

هذه الحبات المتناثرة فى سنبلة واحدة جامعة ؛

وهذه الأطراف المبتورة فى جسد واحد من جديد ؛

وإلا كانت روما وبالاً على نفسها .
 فبعد أن كانت تدين لها الممالك القوية ،
 ستصبح كالمنبوذ الشقي البائس ،
 وتقضى على نفسها قضاءً مبرماً شائناً .

٧٥

وإذا كانت طلائع شببي ، والغضون التي في وجهي ،
 وهي الدليل الحاد على التجربة والحكمة ،
 لا تحملكم على أن تصغوا إلى :

٨٠ (إل لوكيوس) فتكلم أنت يا صديق روما العزيز ، كما تكلم جدنا
 من قبل ،

عندما ألقى بلهجته الوقور ،
 في سمع « ديدو » المنصتة ، المريضة بالحب ،
 قصة الليلة المشئومة الملتبئة ،
 التي فاجأ فيها الإغريق الماكرون ، مدينة الملك
 بريام .

٨٥ قل لنا من ذا الذي غرر بنا وبأسماعنا وكأنه « سينون »^(١)

(١) سينون : من محاربى الإغريق . عرف بقدرته على الكذب والخداع لأنه استطاع
 أن يدخل على أهل طروادة حصاناً خشبياً كبيراً اختفى فيه جنود من الإغريق ليغفل بهذه
 الحيلة جنده داخل المدينة .

ومن ذا الذى أدخل علينا الآلة الجهنمية كما أدخل
حصان طروادة

فأصابت طروادتنا - روما - بجرح الشقاق الداخلى .
لا تحسبوا أن قلبى قد من صوان أو فولاذ .

فلست بقادر على أن أفصح عن حزننا المرير ،
دون أن تغرق كلماتى فى فيض من الدمع

٩٠

فيبطل حديثى ؛ فى الوقت الذى
يجب فيه أن أحملك على أن تنصتوا لى خير إنصات ،
وأن تعطفوا على وتواسونى .

إليك إذن ، قائد روما الشاب ، فليقص هو عليكم
القصة ؛

إن قلوبكم ستضطرب وستدرف عيونكم الدمع لسماع
كلماته .

٩٥

لوكيوس : أمها المستمعون الكرام ، ألا فلتعلموا

أن شىرون اللعين وديمثريوس
هما اللذان قتلا أنا الإمبراطور ؛

وهما اللذان اغتصبا أختنا ،

وقد أعدم أخوئى لما ارتكبا هما من جرائم بشعة ؛

١٠٠

لقد استخفا بدموع آيينا ، وسلبا في دناءة خادعة
يده الأمانة ، يده التي أخرجت روما ظافرة في
معاركها ،

وألقت بأعدائها إلى القبور .
وأخيراً نُفيت أنا في قسوة ؛
وأوصدت الأبواب في وجهي ؛ وطردت من الوطن
آسياً ،

١٠٥

لأستجدي النجدة من أعداء روما ؛
فأغرقوا عداواتهم في فيض دموعي الصادقة ؛
وفتحوا لي أذرعهم ليحتضنوني كصديق .
ألا فاعلموا أيضاً أنني أنا الذي نُفيت ،

قد رعيت مصالح روما ودافعت عنها بدمي ،
وتلقيت أطراف سيوف العدو المسددة إلى صدرها ،
فجعلت من جسدي الباسل غمدًا لنصالحهم ،
وأأسفاه ، إنكم لتعرفون فما أنا بمبتجع ولا مدع ،
إن ندوب جراحي ، وإن كانت صامتة خرساء ،
تشهد على أن ما أقرره هو الحق الصادق ، والحققة
كاملة .

١١٠

١١٥

ولكن مهلاً إنه ليخيل إليّ أنني قد استطردت طويلاً ،

معدداً مناقبي المتواضعة ؛ فاغفروا لى ؛
 إن المرء إن عدم الصديق الذى يعترف بحقه امتدح
 نفسه .

ماركوس : والآن حان دورى لأن أتكلم ، انظروا إلى هذا
 الطفل !

هذا هو الذى أنجيتنه تامورا !

١٢٠

من نسل عبد كافر ؛
 كان هو المدير الأكبر لهذه المصائب وواضع
 خططها ؛

إن هذا الشرير ما زال حيّاً الآن فى بيت تيتوس
 يشهد ، لعنة الله ، على صدق ما نقول .

قدروا الظروف إذن التى دفعت بتيتوس إلى أن
 ينتقم

١٢٥

لهذه الإساءات التى لا توصف ولا تحتمل ،

بل لا يمكن أن يطيقها بشر حى .

لقد علمتم الآن الحقيقة . أيها الرومان فما قولكم ؟
 إن كنا قد أتينا أمراً لا ترونه حقاً فدلونا عليه ؛
 إنكم إن فعلتم فسنلقى بأنفسنا ، نحن البقية الهزيلة
 من أسرة أندرونيكوس ،

١٣٠

من هذا المكان الذى تروننا فيه ،
 لنهوى جميعاً وقد أمسك كل منا بيد صاحبه ،
 حتى تتناثر رءوسنا على الصخور الخشنة ،
 ونقضى جميعاً على بيتنا قضاءً مبرماً .
 ١٣٥ تكلموا أيها الرومان ، تكلموا ، إنكم إن طلبتم منا
 ذلك فعلناه .

انظروا ، سنلقى بأنفسنا ، أنا ولوكيوس ، يداً فى يد .
 إيميلوس : كفى ، كفى ، يا رجل روما الوقور ،

بل اصحب إمبراطورنا فى رفق معك ١٤٠

نعم ، لوكيوس إمبراطورنا ، فإننى لأعلم جيداً
 أن هذا هو ما يطلبه الشعب وينادى به .

ماركوس : لوكيوس ، تقبل تحيتنا ، يا إمبراطور روما الملكى

(الحاشية) هلم إلى بيت تيتوس الحزين ،

وجروا ذلك العبد الكافر إلى هنا ؛

حتى يُقضى عليه بأشنع ما يكون من الموت ،

عقاباً له على حياة مفعمة بالإثم . ١٤٥

(تخرج الحاشية) (يزل لوكيوس وماركوس والآخرين)

الجميع : لوكيوس ، تحية منا إليك يا حاكم روما السمع

الكريم !

لوكيوس : شكرًا، أيها الرومان الكرام ، وددت لو أن حكيمى
كان سمحاً كما تقولون

فأبرئ جراح روما وأمسح عنها حزنها .

ولكن ، أمهلونى قليلا ، وساعدنى ، أيها الشعب

الكريم .

فلقد حملتنى الطبيعة أمانة ثقيلة .

١٥٠

قفوا بعيداً كلكم ، إلا أنت أيها العم فاقرب منى ،

لندرف الدمع الواجب علينا نحو هذا الجسد ،

إليك هذه القبله الدافئة على شفاهك الباردة الشاحبة

(يقبل تيتوس)

وهذه القطرات الحزينة من الدمع على وجهك الملطخ

بالدم ،

فهى آخر ما يُقدم إليك ابنك الوفى من فروض

خالصة ،

١٥١

ماركوس : وهذه دموع جزاء دموعك ، وقبله محبة وفاء لقبلاتك ،

يردها إلى شفتيك أخوك ماركوس ،

فإن يكن ما على أن أردّه إليك منها

لا عدد له ولا نهاية فما زلت حريصاً على أن أردّه

كله .

١٦٠ لوكيوس (لابنه): تعال ، اقترِب يا بني ، تعال ، تعال وتعلم منا

كيف تذوبُ نفسك حشرات في فيض من الدمع .

لقد كان جدك يحبك حباً جماً

ولكم أرقصك على ركبتيه ، وغنى لك لتنام وقد

وسدك صدره الحنون ،

ولكم قص عليك من قصص ،

تلائم طفولتك وتسعدها ،

١٦٥

فاذكر هذا يا بني ، وهلم تقدم كطفل حبيب

لتذرف من الدمع بضع قطرات من نبعك الغض ،

فإن الرحمة تقضي

بأن يشارك الصديق صديقه في الحزن والأسى .

هلم ودّع جدك ، وأسلمه إلى القبر ؛

١٧٠

قدم له هذا الفرض واستأذنه في أن تنصرف .

لوكيوس الصغير: جدى يا جدى ، كم أتمنى من كل قلبي

أن أموت أنا وتحيا أنت من جديد .

مولاي إني لا أستطيع أن أكلمه من بكائي ،

إني لأغص بالدمع قبل أن أفتح فمي .

١٧٥

(تدخل الحاشية ومعها هارون)

الرومانى الأول: يا آل أندرونيكوس المحزونين ، دعوا الأحزان

واحكموا على هذا الشقي اللعين ،
الذى دبر كل هذه المآسى الفاجعة .

لوكيوس

: ليدفن في التراب حتى الصدر ثم لتميتوه جوعاً ،
ودعوه على هذه الحال مقيداً حتى يهذى صارخاً
في طلب الطعام .

١٨٠

فإذا أسعفه إنسان أو أشفق عليه
فليمت بجرمته تلك هذا قضاؤنا .
فليتخلف هنا بعضكم ليتأكد من قيده في الأرض .
: آه ، لم يخرس الحقد ، ويسكن الغضب ؟

هارون

لست طفلاً لأصلي صلوات دنيئة ،
أستغفر بها عما ارتكبت من شرور .
إنني لأتمنى أن أملك حريتي من جديد حتى أرتكب
ألفاً غيرها شراً مما ارتكبت منها جميعاً .
ولو أنني أتيت عملاً طيباً واحداً في حياتي كلها ،
فهذا هو ما أندم عليه الآن من كل قلبي ،

١٨٥

: فليحمل الإمبراطور بعض أصدقائه المحبين ،
لكي يدفن في قبر أبيه .

لوكيوس

أما أبي ولا فينيا فسيحملان

١٩٠

لكى يدفنا فى مقابر أسرتنا .

وأما تامورا ، هذه النمرة المقرسة ،

١٩٥

فلا جنازة لها ، ولا مشيع واحد فى ثوب الحداد ،

ولا أجراس تعلن الصلاة على جثمانها^(١) .

دعوها للوحوش وجوارح الطير .

إن حياتها كانت كحياة الوحوش خالية من الرحمة ،

ولا بد أن يكون جزاؤها كذلك خلواً من الرحمة^(٢) .

٢٠٠

ثم تأكدوا من تنفيذ العقاب فى هارون ، هذا العبد

اللعين ،

الذى بدأت به خطوطنا الجسيمة .

وبعد ذلك سنحكم سياسة الدولة لإحكاماً

بحيث لا تُفسد أمورنا مثل هذه الأحداث بعد

اليوم .

(يخرجون)

(١) الخطأ التاريخى هنا واضح فهذه مراسم مسيحية إلا أن يكون الأبطال مسيحيين

قد أزيح عصرهم إلى القدم .

(٢) بهذا البيت (مختلفاً) تنتهى طبعة آردن الحديثة سنة ١٩٥٧ تحقيق ماكسويل

وشرحه ، ولكن هذه الأبيات الأربعة موجودة فى الطبعة التى اعتمدنا عليها طبعة آردن سنة ١٩٠٤

تحقيق بيلدون وشرحه .

obeikandi.com

١٩٩٣ / ٨٤٩٨	رقم الإيداع
ISBN 977 - 02 - 4231 - 4	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٤٢٥
 طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)